الثقافة الوطنية بين الإعلام والعولمة

د. فؤادة البكرى*

مقدمة :

مع نهاية القرن العشرين والتهيؤ لاستقبال القرن الحادى والعشرين طرأت مجموعة من المتغيرات والتحولات العالمية فى المجالين السياسى والاقتصادى التى رصدها الباحثون ونالت الكثير من اهتماماتهم ، وبرزت إلى الوجود قضايا شغلت البال العام ، وأخذت الكثير من اهتمامات العلماء والمثقفين ،وكانت قضية العولمة – وما زالت – فى مقدمة تلك القضايا ، حيث عقدت لها المؤتمرات والحلقات البحثية داخل مصر وخارجها على المستويين المحلى والإقليمى ، وتناولها الباحثون بالنقاش والتحليل وإلقاء الضوء عليها تاريخيا ، وربطها بأحداث وظواهر كثيرة قديمة ، وصوروها على أنها حقبة تاريخية ظهرت فى أعقاب نهايه الحرب الباردة ، وأننا قد عشنا حقبًا مماثلة فى أعقاب الحرب الأولى والثانية ، ظهرت فيها مبادئ جديدة .

لقد رحب البعض بالعولمة ودعوا الآخرين إلى تبنى قيمها مدعين أنها هى المستقبل بما تفرزه من الأفكار أو المؤسسات ، وأنها حتمية تاريخية ، وأنها اتجاه لا رجعة فيه ، وعلى الجانب الآخر تصدى الكثيرون لها ، بالتحليل لأبعادها وتوضيح تجلياتها وآثارها ، محللين ومنبهين لمخاطرها وآثارها القريبة والبعيدة فى مجالات

---

* مدرس بقسم الإعلام بكلية الآداب – جامعة حلوان .

السياسة والاقتصاد والثقافة ، ويدافع المؤيدون لها عن القيم الجديدة التى تستجلبها، وهى قيم التحرر الإنسانى واحترام حقوق الإنسان ، والليبرالية بكل أشكالها .

ويؤكد المحذرون والمنبهون لمخاطرها على نتائجها السلبية ، ففى مجالات السياسة ستؤدى إلى اهتزاز دور الدولة ، وفى مجال الثقافة ستتحول المجتمعات من ثقافتها الأصلية إلى ثقافة عالمية ذات قيم جديدة تقضى على الثقافات الوطنية .

وإذا كان الباحثون قد ركزوا خلال عرضهم لتأثيراتها الثقافية على أن العولمة ستقلل من وجود الثقافات الخاصة وتأثيرها ؛ فإنهم لم يقوموا عند عرض تلك التأثيرات بتحليلها بالقدر الكافى ، فلم يقم أحد الباحثين بتحليل مفهوم الثقافة وسماتها وخصائصها وتطورها التاريخى عبر العصور المختلفة ونشأة المصطلح نفسه والتعرض لعناصر الثقافة الثابتة والمتغيرة ، وأى هذه العناصر يقبل التغيير والتطوير وأيها لا يقبل ، فمن المعروف أن هناك اتجاهين فى الثقافة .

الأول : يتجه إلى أن ثقافة الإنسان – أينما كان – ثقافة واحدة رفيعة وملزمة لكل الأذهان والأذواق وهى الثقافة الإنسانية .

والآخر : يتجه إلى أن الثقافة محلية ومنطوية على سجل مستمر لتراث شعب ما فى إطار لغة معينة ، قد تتصل بها مجموعة من المعتقدات المشتركة وتراث من الحكم والفنون الشعبية المنقولة عن الأجيال السابقة[1] .

لكن الاتجاه الأول لا يلغى الاتجاه الآخر بل يدعمه ويؤكد عليه .

فما الذى تسعى العولمة إلى تحقيقه ؟ هل تسعى إلى تحقيق الثقافة الإنسانية الرفيعة حقا أم أنها تسعى إلى فرض ثقافة استهلاكية ونمط إنتاجى واحد تغير منه

اقتصاديا وثقافيا وسياسيا مضحية بالثقافات الوطنية وما تزخر به من قيم ومثل وأخلاق وقانون وآداب وفنون ، بحجة أن ثقافاتها هى الأصلح وأن الثقافة الوطنية تقليدية ولا تصلح للتماشى مع قيم العصر الحديث الذى يتفق والعولمة ؟ ولا يفهم من ذلك أن الثقافات الوطنية منغلقة ، بل هى تحمى نفسها من الاقتلاع ؛ فالثقافة كالنهر الذى يحمل الماء من المنبع إلى المصب ، تمتد من الماضى إلى الحاضر إلى المستقبل عبر الزمان والمكان والموضوع، ولا يعنى ذلك ثبات طبيعتها وخصائصها ؛ لأن الحياة البشرية تتغير بتغير الزمن والظروف وتتطور بتطورها[٢] .

لكن هذا العصر يشهد تغيرات سريعة متلاحقة ، وما كان يتم فى قرون أصبح يتم فى سنوات بل شهور قليلة ، وأصبحت الكرة الأرضية بمثابة قرية واحدة مثلما قال مارشال ماكلوهان ، وهو ما أصبح يُخشى منه على الثقافات الوطنية من الاهتزاز أو الخلخلة فى بعض مكوناتها . ورغم الاتفاق على أن الثقافة الوطنية تنمو وتزدهر باتصالها بالثقافات الأخرى ؛ فإن تزايد الاتصالات وقنوات البث الفضائى ونمطية المضامين الوافدة وتعرض الفرد لفيض هائل من الجرعات الثقافية المختلفة عن ثقافته أصبح يثير المخاوف من فقدان الهوية والذاتية والانغماس فى ثقافة مبثوثة عن طريق الفضاء الخارجى من دولة متقدمة تملك الإمكانات الاتصالية ولها توجهات أصبحت معروفة ، ومن هذا المنطلق جاء التفكير فى هذه الدراسة .

لقد مرت البشرية بتغيرات مهمة سابقة قبل أن تصل إلى هذا العصر ، بدأت بعصر البخار ثم الكهرباء ثم عصر الذرة وعصر الطاقة النووية إلى أن وصلت إلى عصر الإلكترونيات وعصر الميكروإلكترونيات والحاسبات والفضاء ، وفى غضون تلك التغيرات المهمة نمت الثقافات وتطورت وتكيفت مع كل تغيير يحدث لتتواءم مع المكتشفات الحديثة ، وسادت حضارات قديمة مثل الحضارة اليونانية

والحضارة المصرية القديمة .

وبرزت الحضارة الإسلامية التى أثمرت وأفرزت الكثير من المعارف والعلوم . وفى العصور الحديثة برزت الحضارة الأوربية لكى تتصدر الحضارات ، واستطاعت الخلق والابتكار ، ولكنها استندت على الحضارة الإسلامية ، حتى ليمكن القول إنها كانت لاحقة ومكملة لها ، وربماكانت هناك عوامل لازدهار حضارة وفناء حضارة أخرى ، وقد تكون هذه العوامل داخلية أو خارجية ، ونتيجة ضعف أو عدم تكيف أو غزو وسيطرة ، لكن الثقافة كانت دائما مواكبة لوجود المجتمعات وملازمة لها ، وكانت دائما قادرة على النمو والتكيف والأخذ والعطاء ، غير أن رياح التغيير فى عالمنا المعاصر أكثر ضراوة وأشد شراسة من كل عصر مضى ، والسباق الحضارى نحو المستقبل يتلاحق بخطى سريعة ، والثقافة بوصفها أسلوب حياة لشعب برمته لاتتجمد فى مكانها مطلقا، بل تتطور بما يتفق ومسيرة التاريخ[٣] ، ومادام التاريخ يتحرك بسرعة أكبر من ذى قبل فإنها ستتغير الآن بأسرع مما تغيرت من قبل . إن التقدم التكنولوچى الكبير الذى حدث فى مجال الاتصالات وفى مجال الكمبيوتر أحدث ثورة هائلة فى الاتصالات وفى المعارف والمعلومات . هذه المستجدات التى حدثت على الصعيد العالمى أثرت تأثيرًا كبيرًا فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[٤] ، ودفعت تلك التغيرات الهائلة الباحثين والمعنيين بقضايا الوطن إلى القول بأن الثقافة لابد لها أن تتغير هى الأخرى ، فهل يمكن أن يحدث ذلك ؟ وهل يمكن أن تسود العالم ثقافة عالمية واحدة هى بلا شك ثقافة الدولة الأقوى التى تمتلك أحدث المنجزات التكنولوچية ، وتمتلك القدرة على الاتصال الفورى وعرض أفكارها ومنتجاتها واتجهاتها ؟ أم أن العكس هو الصحيح ، وأن الثقافة بطبعها وسماتها محلية

وخاصة وترتبط بحياة الناس والأفراد فى كافة المجتمعات ، ولا يمكن لها أن تتخذ صفة العمومية وتنسلخ عن خصوصية الأفراد وتفردهم ؟ ومن ثَمَّ فإن الثقافة لا يمكن أن تكون واحدة، بل هى بالضرورة متعددة ومتنوعة ، تتعدد بتعدد المجتمعات ، وتتنوع بتنوع الأمم والشعوب .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث فى أن الثقافة التى درجت على الأخذ والعطاء والتكيف مع الجديد ، أصبحت الآن فى وضع مغاير بسبب الثقافة المفروضة عليها ، وبسبب التغيرات التى حدثت فى العالم ، ومن هنا تتحدد مشكلة البحث فى مناقشة قضية الثقافة ما بين دور الإعلام وتأثير العولمة .

منهج البحث :

تعد مشكلة البحث التى نواجهها ذات طبيعة نظرية وتطبيقية . وفى هذا البحث يتم تناولها من الناحية النظرية بالاعتماد على منهج التحليل المقارن ، وهو منهج نظرى وصفى يقوم على الملاحظة والمقارنة والاستشهاد والاستنتاج[٥] ، ويربط بين الحقائق والنتائج ، ويقارن بينها للخروج باستنتاجات جديدة تصلح لتطبيقات جديدة فى مجالات أخرى ، وهو ما تستهدفه مشكلة البحث[٦] .

تساؤلات الدراسة :

السؤال الرئيسى المطروح فى هذه الدراسة هو : ما هو تأثير العولمة على الثقافة ؟ وما هو دور الإعلام فى مواجهة هذا التأثير ؟

وهذا التساؤل الرئيسى ينبثق منه تساؤل آخر عن الثقافة الوطنية : ماذا تعنى ؟

وما خصائصها؟ وهل يمكن أن تقضى العولمة على التمايز الثقافى، وأن تمحو الخصوصيات الثقافية؟ هل من الممكن أن تقوم أمم عريقة ذات حضارات قديمة قدم الحضارة نفسها وثقافات متنوعة بخلع ردائها القديم وتبدأ فى العولمة؟

- ما هى التغيرات المستقبلية المحتملة بتأثير العولمة؟

- كيف نحمى ثقافتنا، بما تزخر به من قيم وأعراف من تيارات العولمة؟

- كيف يمكن أن نستفيد من ثقافة العولمة؟

- ما هو دور الإعلام الوطنى أو العربى فيما يحدث الآن؟

- هل يقوم بدور يستحث الوعى المجتمعى ويستنهض الهمم، أم أن موقفه موقف المنتظر أو المتفرج؟

- هل وضعت السياسات الإعلامية المستقبلية لمواجهة المستجدات والتحديات، أم ما زالت تسير على الخطى المرسومة نفسها من حقب سابقة؟

- هل إطلاق الأقمار واقتناء الأجهزة الاتصالية وزيادة معدل الإرسال وتوسيع قاعدة القنوات المحلية هو السياسة المستقبلية التى تقابل بها الأجهزة المسئولة الموجة الاتصالية العالمية؟

تقسيم البحث:

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث أساسية:

المبحث الأول: الثقافة وتطورها التاريخى وتعريفها وسماتها.

المبحث الثانى: الإعلام وصلته بالثقافة.

المبحث الثالث: العولمة وآثارها، وكيفية التصدى لها.

المبحث الأول

الثقافة وتطورها التاريخى وتعريفها وسماتها

أ – التطور التاريخى للثقافة

لم تُعرف كلمة ثقافة فى الأزمنة القديمة؛ حيث لم تكن المجتمعات قد ظهرت بصورتها الحالية بعد، وكان العمل يعتمد على القوة الجسدية، وكان الرق والسخرة هما قوام العمل، أما العقل والذكاء فلم تكن هذه المجتمعات بها حاجة إليها. يقول هـ. ج. ويلز فى كتابه «مختصر تاريخ العالم»: «إن العقل كان أداة كاسدة لا حاجة إليها». وكان التعليم خاصًا بالكنيسة وللوفاء بالتعاليم الدينية، وكانت المعرفة مقصورة خلال العصور الوسطى حتى القرن الثانى عشر على الفلسفة والفلك واللاهوت. وعندما حدثت الثورة الصناعية وبدأت الحضارة التى تعتمد على استخدام الآلة، بدأ تحرر الإنسان من العبودية والرق، وأصبح العبيد عالة على مالكهم إلا فى المجتمعات الزراعية، وفى هذا يقول هـ. ج. ويلز: «كان التعليم الشعبى ثمرة من ثمار حلول الآلة محل العمل اليدوى، وإن حاجة العامة إلى التعليم فاقت مقابلها لدى الصفوة، وفاق الاهتمام به الاهتمام بتعليم الصفوة»[٧]. وعلى هذا نرى أنه لم يكن هناك سبب لوجود تثقيف للعقل طوال القرون الوسطى، ولم ينظر لتثقيف العقل على أنه مماثل لزراعة حديقة إلا ابتداء من القرن الخامس عشر[٨].

ويقول چاك شاربنترو رين كايس Jacques Charpentreau Rene Kaesإنه فى القرن السابع عشر أصبح المثل الأعلى هو «الرجل الفاضل» ذلك

الملم بكل شيء، وبرزت كلمة ثقافة وأصبحت تعنى ذلك الشيء الذى يبقى حين يُغيّب النسيان كل شيء[٩].

وفى القرن الثامن عشر عُرف الفيلسوف «بأنه الإنسان المثالى الذى يفكر على وجه صحيح»، فقد قال ڤولتير: «إذا لم يكن هذا العصر عصر المواهب العظيمة فإنه عصر العقول المثقفة». وأطلقوا الكلمة إجمالًا بمعناها المطلق، وأنها تدل على تنمية العقل والذوق.

وفى فرنسا، لم تقر كلمة ثقافة إلا فى طبعة المعجم سنة ١٨٧٨. وجاء فى طبعة معجم المجمع الفرنسى (١٩٣٢- ١٩٣٤) تعريف الثقافة بأن الكلمة تطلق مجازًا على الجهد المبذول فى سبيل تحسين العلوم والفنون وتنمية المواهب الفكرية ومواهب العقل والذكاء، وترادف الحضارة فى بعض الأحيان.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ظهرت كلمة ثقافة معقدة تدريجيًا منذ نشأت علوم الإنسان ثم علم الاجتماع، وظهر الاهتمام بدراسة الثقافات المتنوعة واختفت فكرة الثقافة المطلقة.

أما فى إنجلترا فقد أبدت نفورًا شديدًا من استعمال الكلمة فى المجلس البريطانى خلال مرحلتى عام ١٩٣٤- ١٩٤٠، ورفض المسئولون وصف المجلس بالثقافى، ولم تُمسِ كلمة ثقافة مقبولة فى المعاجم الإنجليزية والأمريكية إلا فى وقت متأخر، وكان المفهوم فى الولايات المتحدة يتميز بأنه مشخص ونفعى بنحو كبير[١٠].

أما كلمة ثقافة فى اللغة العربية فلم تستخدم الكلمة بالمعنى الذى يطلق عليها اليوم إلا فى القرن التاسع الميلادى، عندما استخدمها أديب العربية أبو عثمان

الجاحظ بمعنى تسوية الفكر . أما قبل ذلك فقد استخدمت الكلمة بمعان مختلفة عن معناها الحالى ، فكانت تعنى كلمة (ثقف) من فكرة تثقيف أو تشذيب قناة الرمح وتسويتها ، ولم تعن الكلمة سوى تثقيف قناة الرمح ، أى تسويتها واستقامتها[١١] .

ويقرر الدكتور زكى نجيب محمود أن الثقافة لم تعد تسوية العود الذى يركب عليه سنان الرمح ليصلح للقتال ، بل أصبحت فى استعمال الجاحظ لها فى القرن التاسع الميلادى تسوية الفكر ، ليصبح بفطنته وذكائه قادرًا على حل مشكلات الحياة ، والذى أدى إلى هذا التغير الهائل فى وجهة النظر هو التغير الحضارى الذى شمل الناس بعد الإسلام .

وتثقيف العقل بما يتفق مع الحضارة الجديدة يومئذ كانت له وسائله الضرورية من وجهة النظر السائدة ؛ وأولى تلك الوسائل وأهمها دراسة اللغة بكل ما تستلزمه تلك الدراسة من علوم النحو وقواعد الاشتقاق وإيراد الشواهد من الشعر الجاهلى أو من النص القرآنى الكريم ، وجعل أهم سمات المثقف يومئذ إلمامه باللغة إلمامًا جيدًا ، وذلك لسببين : أولهما أن يتأكدوا من قدرة المثقف على فهم الكتاب الكريم فهمًا صحيحًا ، وعلى مثل هذا الفهم الصحيح يتوقف الفقه الإسلامى كله . والسبب الآخر أن يكون للحكام المسلمين فى البلاد التى دخلت الإسلام (كمصر وإيران مثلًا) ما يعتزون به فى الحياة الثقافية إذا ما واجهتهم ثقافة تلك البلاد التى يحكمونها[١٢] .

ويذكر توفيق الحكيم أن فكرة الثقافة فكرة حديثة جاءتنا من أوربا ، حيث لا توجد الكلمة فى وثائق العصر الحديث أو فى مؤلفات ابن خلدون ، فالكلمة

وُجدت بطريق التوليد ، ولم توجد فى المراجع والقواميس ، وأنها كلمة دخيلة مثل العلمانية ، فاللغة العربية لا تعرفها بالمعنى الذى نطلقه عليها اليوم ؛ حيث إن معناها فى القواميس العربية لا علاقة له بالمعنى الذى أطلقناه عليها اليوم ، وهى كلمة Culture (أو كلتور) .

ويضيف أن العرب استخدموا كلمة أخرى تحمل عندهم المعنى نفسه وهى كلمة الأدب ، والأديب هو من ألم من كل شىء بطرف ، ويتساءل : أليست الثقافة إلا هذا ، وهو الإلمام من كل شىء بطرف[١٣] .

ويرجع أصل كلمة ثقافة فى اللغات الأوربية إلى كلمة لاتينية هى Xulture مصدر للفعل Colere الذى تعددت معانيه المعجمية على مر العصور منذ بدء الدولة الرومانية . ومن معانيه فطن ، فلح ، حمس ، وبجل وقدس[١٤] .

وفى أوائل العصور الحديثة بدأت كلمة ثقافة تستعمل فى الإنجليزية والفرنسية بمدلولها المادى والعقلى ، مع إضافة الشىء المقصود تنميته La culture de lettres- La culture du ble ومثلها فى الإنجليزية . وهو المعنى المقصود بعملية إنماء الأشياء .

وحسب معجم أكسفورد فإن أول طبعة تستعمل هذه الكلمة بما يشبه هذا المعنى ترجع إلى عام ١٨٠٥، ولا يزال هذا المعنى أحد معانيها المستخدمة فى اللغة العربية .

ويقرر إليوت T.S. Elliote أن تاريخ الكلمة نفسها بوصفها دالة على شىء يقصد إليه قصدًا واعيًا فى أمور البشر ليس بالتاريخ الطويل ، وكلمة ثقافة بمعنى شىء يتوصل إليه بالجهد المقصود تكون أقرب إلى الفهم حين نتكلم عن تثقيف

الفرد الذى ننظر إلى ثقافته منسوبة إلى أساس من ثقافة الفئة والمجتمع[١٥].

وفى اللغة العربية تغيرت معانى الثقافة مع تعاقب العصور، وما كان شرطًا ضروريًا للمثقف فى مرحلة معينة لم يعد كذلك فى مراحل أخرى جاءت بعد ذلك، فمن تسوية العود الذى يركب عليه سنان الرمح ليصلح للقتال انتقلت الثقافة بعد الإسلام إلى معنى جديد وهو تسوية الفكر، ثم انتقلت الثقافة إلى مرحلة جديدة بمعنى جديد، وأصبح المثقف فى الدولة العباسية لا يقتصر عمله على اللغة وملحقاتها والفقه الإسلامى ومذاهبه، بل اقتضى الأمر إضافة جديدة تتناسب مع الوجه الحضارى الجديد، وتلك الإضافة هى الإلمام بتراث الحضارات الأخرى، وفى مقدمتها حضارة اليونان الأقدمين.

لقد تطور المعنى وأثرى من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وتغيرت شروط المثقف أيضًا بتغيير العصور، فكان لكل عصر ضرورات معينة يشترط توافرها فيمن يسمى بالمثقف، فحينًا كانت الفروسية شرطًا، وحينًا آخر كان التفلسف شرطًا، وحينًا ثالثًا كان الإلمام بشرائع الدين وقواعد اللغة شرطًا، وحينًا رابعًا كان اصطناع النظرة العلمية شرطًا... وهكذا، ولم يكن لكل عصر شرط واحد يطالب بتوافره فى المثقف، ولكنها كانت مجموعة من صفات أساسية يتطلبها كل عصر من مثقفيه[١٦].

ب – معنى الثقافة وسماتها

تعددت معانى كلمة «ثقافة» بتعدد من تناولها بمحاولات التحديد فى اللغات الأوربية واللغة العربية أيضًا بعد القرن الثامن عشر الميلادى، كما تفاوتت معانيها عند التطبيق سعة وضيقًا. فهناك على الأقل معنيان أو استخدامان

رئيسيان للمصطلح بين المتداولين له من العرب والغربيين؛ أحدهما استخدام متسع والآخر استخدام ضيق. والمعنى المتسع للثقافة هو الذى يستخدمه علماء الاجتماع والأنثروبولوچيون، أما المعنى الضيق فهو الذى يستخدمه بعض الباحثين والمفكرين. وفيما يأتى عرض لبعض هذه المعانى:

قد تعنى الثقافة الرقى فى الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقى فى القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والرقى كذلك فى الأخلاق والسلوك[١٧].

كما تعرف بأنها فن الحياة، سواء نظرنا إليها فى ضوء ما يتحلى به الفرد من دماثة الأخلاق ورقة الطباع وما يسير عليه من منهج فلسفى أو روحى، أم فى ضوء ما تتواضع عليه الجماعة من أنماط السلوك وأساليب التفكير، وما تتمسك به من عادات وتقاليد. وعند تعريف الثقافة يجب ألا يقتصر التعريف على أنها الفنون التعبيرية كالموسيقى والرقص والمسرحية والأدب والفنون التشكيلية والفنون المتوسطة كتنسيق الزهور وحفلة الشاى فى اليابان مثلاً، مما يعبر بإيجاز عن أسلوب حياة الشعب، بل يجب أن يتسع هذا التعريف ليشمل القيم الظاهرة والباطنة التى تنطوى عليها هذه الفنون جميعًا. ولما كان مفهوم الثقافة يشمل أسلوب الحياة الذى ارتضاه الشعب بعد تجاربه الطويلة، وإذا تقرر ربط الثقافة بنمو الشعب وتنميته وجب عندئذ أن يمثل العلم والتكنولوچيا الجانب المادى من الثقافة، فإن الدين يمثل الجانب الروحى منها، ويبقى بعد ذلك الجانب الجمالى والفنى الذى يتطلب أساليب وأدوات فنية للتعبير عن النوازع الإنسانية السامية[١٨].

وتعرف الثقافة بأنها ثقافة الأمة وعلمها غير الواعى الذى تتوارثه أجيالها وتسير به فى شئون حياتها ؛ أى طريقتها فى الحياة متضمنة اللغة واللهجة من اللغة ونظام إقامة البيوت وأنواع المأكل وطرق تحضيرها وطرق تناولها والملابس والفرش والثياب وأشكالها والأمثال والحكايات الشعبية وتصور أهلها للدنيا وموقفهم من الحياة وطريقة سيرهم فيها[١٩] .

ويعد تعريف المفكر الإنجليزى إدوارد برونت تايلور E.B.Tylor (١٨٣٢- ١٩١٧) من أقدم وأفضل التعريفات التى قدمت للثقافة ؛ حيث يعرفها بأنها « ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والتقاليد وكل القدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الفرد بوصفه عضوًا فى مجتمع »[٢٠] .

وكان لتيلور تأثيره على الكثير من الباحثين فى مجال الثقافة . فتناولوها بالمفهوم الاجتماعى والأنثروبولوچى ، ولم يضف أحد إلى ماذكره تايلور أى عنصر يغير أو يبدل من المفهوم ، ولكنها جميعًا لا تختلف على أن الثقافة تكتسب عن طريق التعلم ، وأن التثقيف يبدأ مع الفرد منذ الميلاد[٢١] .

وتميزت الثلاثون سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر بفترة ركود ، فلم تظهر تعريفات جديدة ، ثم جاء الأمريكيون إلى جانب الإنجليز والفرنسيين والألمان ليسهموا فى تحليل مفهوم الثقافة إسهامًا حاسمًا . وعمد بعض علماء الاجتماع ومنهم ألفريد لويس كروبر A.L.Krober وكلايد كلاكهون C.Kluckhn سنة ١٩٢٠ إلى وضع تعريفات إضافية ، ولكنها لا تختلف كثيرًا بعضها عن بعض ، نتيجة التقدم السريع الذى حققته الأنثروبولوچيا ؛ لأن فكرة الثقافة قد

وجدت نفسها فى تلك الأثناء ملحقة بمباحث أخرى تتصل أكثر ما تتصل بالعلوم الإنسانية والسياسية .

وجاء تعريف الأنثروبولوچيين بأنها جميع مخططات الحياة التى تكونت على مدى التاريخ ، بما فى ذلك المخططات الضمنية والصريحة العقلية واللاعقلية ، وهى موجودة فى أى وقت كوجهات لسلوك الناس عند الحاجة .

ومصطلح ثقافة يستخدم عند الأنثروبولوچيين ليعبر عن المعانى الآتية :

١ - الدلالة على أساليب الحياة أو مخططات الحياة المكتسبة بالتعليم الشائعة فى وقت معين بين البشر جميعًا .

٢ - للدلالة على أساليب الحياة بمجموعة من المجتمعات يوجد بينها قدر من التفاعل .

٣ - للدلالة على أنماط السلوك الخاصة بمجتمع معين .

٤ -للدلالة على أساليب السلوك الخاصة بشريحة أو شرائح معينة داخل مجتمع كبير على درجة من التنظيم المعقد ، على ألا نقوم بالخلط بين هذه الاستخدامات وبعضها[٢٢] .

ويعد تعريف اليونسكو من أبرز التعريفات التى وردت للثقافة . فقد وافق المجتمعون فى ٦ أغسطس سنة ١٩٨٢ بمدينة مكسيكو على أن يسهم المجتمع الدولى من خلال اليونسكو بصورة إيجابية فى تحقيق التقارب بين الشعوب ، وفى التوصل إلى مزيد من التفاهم بين البشر ، ووافق على أن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية

التى تميز مجتمعًا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهى تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات[٢٣] .

ويتضح من تعريف اليونسكو للثقافة تأكيده على إبراز الذاتية الثقافية لكل مجتمع ، بل لكل فئة اجتماعية داخل المجتمع . ومنذ المؤتمر العالمى الأول الذى عقد فى مدينة البندقية ١٩٧٠ وما تلاه من مؤتمرات عالمية فى چاكرتا ١٩٧٣ وهلسنكى ١٩٧٤ وأكرا ١٩٧٥ وبوجوتا ١٩٧٨، يداوم اليونسكو على مناقشة المشكلات الفكرية المتصلة بالثقافة من تحديد المفهوم إلى الحق فى الثقافة لكل مواطن ، وأيضًا التنمية الثقافية ، بوصفها أحد الأبعاد الأساسية للتنمية ، وإعلان العقد الماضى عقدًا للتنمية الثقافية بدأ فى ١٩٨٨ وانتهى فى عام ١٩٩٧، ومرتكزًا على أربعة بنود تؤكد على أهمية الذاتية الثقافية وتدعو إلى الانفتاح على الثقافات . وقد أسفرت اجتماعات اليونسكو مؤخرًا عن تكوين لجنة عام ١٩٩٥ هى اللجنة العالمية للثقافة والتنمية لوضع تقرير شامل عن ضرورة تميز الثقافات[*] وهو ما يعنى أن اليونسكو دائمة الاهتمام بثقافات الشعوب .

ونستطيع القول إن الثقافة مفهوم كلى دينامى يتضمن النظرة الكلية إلى المجتمع ، ويتضمن الأفراد بوصفهم حاملى التراث الثقافى ، وأنه مفهوم ذو بعد زمنى ينتقل من جيل إلى جيل ، ومعرض للتغير المستمر من عصر إلى عصر ، وأن

(*) أسفر هذا التقرير الذى وضعته اللجنة المنبثقة عن الأمم المتحدة عن وضع كتاب تحت مسمى (تنوعنا الخلاق) . وقد ترجم هذا الكتاب تحت عنوان « التنوع البشرى الخلاق » ، إصدار المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة رقم ٢٧) .

هذا المفهوم لا معنى له إلا فى حياة الأفراد وطرق معيشتهم وأنماط سلوكهم ؛ أى أن مفهوم الثقافة يتضمن النظرة الكلية للمجتمع ، كما يتضمن الأفراد بوصفهم حاملى تراث المجتمع .

وإذا كانت الثقافة واحدة أينما كان الإنسان فى العالم ، فإنها أيضًا محلية ومنطوية على سجل مستمر لتراث شعب ما فى إطار لغة ومعتقدات وحكم وفنون شعبية متوارثة[٢٤] ، وإنها فى النهاية تكتسب بالتعليم من جيل إلى جيل ، وإن الثقافات جميعها تهدف إلى الغاية نفسها ، وهى تأهيل الفرد بأفضل الوسائل الروحية والعقلية والبدنية والمادية التى تمكنه من النمو والرقى على أحسن وجه ، حتى يصبح متوافقًا مع الطبيعة وسيدًا لها[٢٥] .

ج- سمات الثقافة

بعد عرض مجموعة من تعريفات الثقافة يمكننا عرض سماتها . ويجمع الباحثون على أن الثقافة تتميز بمجموعة من السمات أهمها :

١- أن الثقافة مكتسبة .

٢- وأنها إنسانية تتعلق بالإنسان وحده .

٣- وأنها ظاهرة وضمنية .

٤- وأنها مثالية ومتغيرة .

٥- وأنها متكيفة .

٦- وأنها متصلة ومتغيرة .

٧- وأنها ترتبط بالمجتمع.

وتعنى أنها مكتسبة ؛ أى يكتسبها الفرد من المجتمع الذى يعيش فيه، وتسمى هذه العملية بعملية التنشئة الثقافية والاجتماعية، ويتميز كل مجتمع إنسانى بثقافة معينة محددة بزمان ومكان معينين.

والأنظمة الثقافية من اختراع الإنسان، وتنتقل الثقافة من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل عن طريق التعلم المقصود وغير المقصود، ويطلق على مجموع النظم الثقافية التى تتراكم من جيل إلى جيل اصطلاح «التراث الثقافى»، وتختلف التجمعات فيما بينها من حيث كم وكيف هذا التراث.

والثقافة إنسانية: لا يعنى أن الثقافة تكتسب وتتم عن طريق التعلم أن أى مجتمع غير بشرى يمكن أن تكون له ثقافة[٢٦]، فهى خاصة بالإنسان فقط دون سائر المخلوقات. فالإنسان هو الذى اخترع الرموز واستخدمها فى نقل ثقافته.

ومن سمات الثقافة أنها ظاهرة وضمنية: فهى ظاهرة تظهر فيما يصنعه الإنسان ويخترعه من أدوات ووسائل تساعده على الحياة، وهذه الأشياء المادية يمكن ملاحظتها بوضوح، وهى نفسها نتاج لأفكار المجتمع وتقاليده ونتاج التقدم والتطور الذى يحدث فى المجتمع. وهى ضمنية حيث لا يمكن الكشف عنها بسهولة، ولا يمكن ذلك إلا من خلال التحليل المركز لأنماط الثقافة الظاهرة التى تعبر عنها. إن جانبًا كبيرًا من نشاطنا اليومى يخضع للأنماط والموضوعات الأساسية التى لا نكون واعين بها تمام الوعى، هذا إذا كنا نعلم بوجودها أصلًا[٢٧].

على أن هذه الطبيعة غير الواعية لكثير من سلوكنا الثقافى لها مساوئها كما يقرر أحد الباحثين ؛ فبقدر نجاحنا فى التكيف مع ثقافتنا الأم بقدر عجزنا عن التكيف مع ثقافة تعد جديدة أو غريبة عنا تمامًا .

وقد أكد ت . س . إليوت على أن الثقافة لا يمكن أن تكون واعية كل الوعى ، فإن فيها دائمًا أكثر مما نعيه ، ولا يمكن تخطيطها لأنها هى أيضًا الأساس اللاواعى لكل ما نقوم به من تخطيط .

وللثقافة وجهان : الأول هو ما يحمله الإنسان فى ذهنه من معارف وأفكار وقيم واتجاهات ، وهذا هو الجزء غير الظاهر أو المتضمن . والثانى هو ما يتم إنتاجه وما ينعكس على الواقع والحياة عندما يطبق الإنسان هذه المعارف والأفكار فى حياته ، وما يظهر منها عندما تتحول إلى سلوك وطرق تساعد على تيسير سبل الحياة .

والثقافة مثالية وواقعية : فهى مثالية لأنها تحتوى على الأساليب التى يجب أن يتصرف الناس على أساسها ، ولأنها تتضمن المثل العليا للأفراد ، وتتسع الشقة بين الثقافة الواقعية والثقافة المثالية بصفة خاصة فى المجتمعات أو الثقافات المتغيرة . فالملاحظ أن الظروف الواقعية فى الوقت الحاضر نتيجة التطور تفوق فى سرعتها المثاليات التى تتضمنها المثل العليا للثقافة ، وأن الثقافات تنطوى دائمًا على نمطين رئيسيين من أنماط السلوك هما : الأنماط المثالية والأنماط السلوكية (الواقعية) . وقد عرف كلاكهون الأنماط الماثلية بأنها : « ما ينبغى أن يفعله أو يقوله أفراد مجتمع معين فى مواقف معينة ، إذا ما أرادوا الامتثال الكامل لمعايير السلوك التى تحددها ثقافتهم » . أما الأنماط السلوكية (الواقعية) فتقوم على ملاحظتنا لما

يمارسه الناس فعلًا فى مواقف معينة .

ومن سمات الثقافة **أيضًا أنها متكيفة** ؛ بمعنى أنها يجب أن تضطلع أحيانًا بأداء بعض المهام ، وهو يعنى أن الأنماط الثقافية تهيئ للناس بعض النماذج المفيدة لأداء ما يحتاجون إليه . وتهدف هذه المهام إلى تمكين الناس من إشباع احتياجاتهم الأساسية والنفسية ، مثل الحاجة للغذاء والحاجة إلى الأمان والعاطفة والاستحسان . وتختلف المتطلبات اللازمة لأداء المهام من بيئة لأخرى .

والثقافة تتكيف عن طريق الاستعارة وإعادة التنظيم لمواجهة متطلبات البيئة ، وبمضى الزمن تختفى بعض الأشكال التقليدية التى لم تعد تستطيع إشباع حاجات الأفراد ، وتظهر حاجات جديدة لتكيفات ثقافية جديدة .

والثقافة متصلة ومتغيرة : فمنذ اكتشاف الكتابة والإنسان يزيد من محتوى ثقافته وينقلها للأجيال التالية ، وهذا يعنى استمرار الثقافة وتخطيها لعامل الزمن ، ولكن الثقافة لا تنتقل من جيل إلى جيل كما هى عليه ، بل إن الثقافات فى تغير مستمر ، تدخل عليها ملامح جديدة وتفقد ملامح قديمة . وتتغير المجتمعات المتقدمة بسرعة ، وهناك مجتمعات تتغير بدرجة متوسطة مثل ثقافات القارتين الآسيوية والأفريقية ، ويرجع سبب اختلاف درجة التغير إلى تطور كل ثقافة من ناحية ، وتوافر إمكانات المخترعات والتقدم العلمى من ناحية أخرى[٢٨] . والثقافة فى تغيرها لا تقفز فى حلقات منفصلة الأجزاء وإنما عمليات التغير الثقافى متصلة ، فالتراث الثقافى كل مترابط ومتصل على مر الزمان ، ينتقل من جيل إلى جيل ، ويتراكم بمرور الزمان ، وتستمر الثقافات لمئات وآلاف السنين ، ولكنها تتغير عبر تلك السنوات ، وتتغير الأجيال التى تصنعها وتحملها . وليس معنى هذا

أن الثقافة لا تموت ، ولكنها يمكن أن تموت إذا انقرض المجتمع عن طريق الفناء أو الغزو من مجتمع آخر وثقافة جديدة تفرض بالقوة ، وقد تموت الثقافة عن طريق اندماج مجتمع فى مجتمع أكبر وظهور ثقافة جديدة نتيجة لانصهار الثقافات القديمة .

وفى ظل الثورة العلمية والمعرفية الحالية التى أنتجت الكثير من المنتجات والمستجدات يمكن أن تصبح الثقافة فى حالة من التغير السريع بتأثير هذا الفيض الهائل من المعلومات والمعارف والأدوات ، وتصبح عملية الاستعارة أو التكيف أسرع كثيرًا من معدلها الطبيعى ، وهو ما يدفع إلى التخوف والاحتماء بالثقافة الوطنية من الانسياق إلى الثقافة الوافدة القادمة مع تلك المنتجات .

وترتبط الثقافة بالمجتمع ؛ حيث يتلازم مفهوم الثقافة مع مفهوم المجتمع ، فلا توجد ثقافة بلا مجتمع ، ولا مجتمع بلا ثقافة . فالمجتمع يتكون من الأفراد ، والثقافة تتكون من الأشياء التى يعتنقها ويفكر فيها الأفراد ويشعرون بها ويعملون وفقًا لها من أفكار وعقائد وغيره .

والقول بأن الأفكار والعقائد تسود الأمة ليس معناه أنها واحدة فى جميع تفاصيلها عند جميع الأفراد . فكل ثقافة تشتمل على العناصر المشتركة والسائدة والمقبولة قبولًا عامًا لدى الجميع . وهناك عناصر أخرى تختص بها بعض الفئات دون غيرها مثل اللهجات والعادات والفنون المحلية وآداب المهن المختلفة وتقاليدها ، ومثل التقاليد والعادات التى تتميز بها طبقة معينة عن بقية الطبقات الأخرى ، ونجد أن المجتمع توجد به الثقافة العليا بجانب الثقافة الشعبية . ووجود قدر من الاختلاف بين الأفراد والجماعات فى المجتمع لا يتعارض مع وحدة

الثقافة فيها ، طالما أن هناك اشتراكًا عامًا فى الأفكار والاتجاهات والقيم . ولذلك فالوحدة الثقافية قائمة فى المجتمع رغم ما قد يكون هناك من اختلاف بين فئة وأخرى ، أو بين إقليم وآخر نتيجة التاريخ واللغة والعقائد والغايات المشتركة والآداب والفنون .

ومن هنا يتضح أن الأفكار والمشاعر والعقيدة الدينية واللغة هى من العناصر الأساسية للثقافة بجانب العناصر الذاتية للأمة ، وهى التى تتجلى فى آدابها وفنونها وتقاليدها[٢٩] .

وعلى أية حال لا يوجد مجتمع يعيش فى عزلة عن بقية العالم بحيث تعد ثقافته أو حضارته خالصة له تمامًا ، وإن وجدت فإنها لا تلبث أن تندثر . فالحضارة أو الثقافة كالبشر تذوى إذا انعزلت عن غيرها وتقوى بمخالطة غيرها لو أحسنت المخالطة . فالتعاون بين الثقافات والحضارات أمر لابد منه لتقدم البشرية ، على أن يتم تبعًا للحاجة والقدرة على الاستيعاب الفكرى والاختيار الجيد[٣٠] .

والثقافة بطبعها وسماتها تتصف بالتعدد والتنوع والخصوصية ، ولابد للثقافة أن تكون متعددة لأنها ترتبط بالمجتمع وبالأفراد وبالمعانى وبالأشياء الكثيرة التى يعتنقها ويحملها الأفراد . ولكن الثقافة تصبح واحدة عندما نتكلم عن الثقافة البشرية أو الثقافة الإنسانية ؛ لأن الثقافة ترتبط بالإنسان وحده ولا ترتبط بأى مخلوق غير الإنسان ، حيث لا تحمل الكائنات الأخرى أى ثقافة . وتشكل جميع الثقافات جزءًا لا يتجزأ من التراث المشترك للإنسانية ؛ فالثقافة الإنسانية هى حاصل جمع المعارف الإنسانية وما اكتسبه الجنس البشرى من سلوك وتكيف .

وتتجدد الذاتية الثقافية لكل شعب ، وتثرى من خلال الاتصال بتراث الشعوب الأخرى وقيمها . فالثقافة حوار وتبادل للأفكار والخبرات وتقدير للقيم والتقاليد الأخرى ، وتزول الثقافة وتضمحل عندما تفرض عليها العزلة .

ونظرًا للتطور الهائل فى وسائل الاتصال والتقدم العلمى والتكنولوچى أصبحت الثقافات غير قادرة على أن تتطور بمعزل عن العمليات الثقافية التى تجرى فى العالم .

ولكن ثقافة العولمة قد لا تعنى للبعض أى معنى أو مضمون ، وإنما تعنى تقليدًا لأنماط معينة فى الحياة وأشكالاً خاصة تتعلق بها ، وهو مايجب أن نحذر منه . وينقلنا هذا إلى المبحث التالى .

المبحث الثانى

الإعلام وصلته بالثقافة

لم تكن المجتمعات البشرية تعرف عن بعضها الشىء الكثير إلى أن تم اختراع وسائل الاتصال التى بدأت بسيطة وتطورت لتبدأ المجتمعات فى الاتصال بعضها ببعض. ولقد أثرت وسائل الاتصال فى الثقافة تأثيرًا كبيرًا، وأخرجتها من مكمنها لكى تكون ملكًا للشعب وللمجتمع، بعد أن اختصت الثقافة بطبقة واحدة، هى الطبقة الثرية القادرة دون الطبقة الأخرى.

وكان اختراع وسائل الإعلام والاتصال، وإن بدا بسيطا ومتدرجا فإن كل وسيلة أثرت بشكل أو بآخر على انتشار الثقافة بين الشعب. كان اختراع المطبعة أحد الأسباب المهمة التى ساعدت على بدء نشر الثقافة وتزايد انتشارها بين الطبقات. ثم كان اختراع الصحافة وبدء تداولها الذى ساعد على الاتصال بين الأفراد داخل المجتمع وخارجه فيما بعد. أما اختراع الراديو الذى تم فى العشرينيات من هذا القرن فكان من أهم عوامل نشر الثقافة بين الجمهور وبدء الارتقاء به وتقريب الثقافات فيما بين الأفراد والمجتمعات. ثم كان اختراع التليفزيون فى الولايات المتحدة[٣١] فى الأربعينيات وانتشاره فى جميع دول العالم فى الخمسينيات والستينيات من أهم العوامل التى أثرت على الثقافة السائدة داخل المجتمعات. ولقد اكتسبت وسائل الاتصال الجماهيرية أهمية كبيرة فى القرن العشرين وخاصة الوسائل الإلكترونية بوصفها قنوات أساسية للمعلومات

والأخبار والترفيه ، وأصبحت برامج التلفزيون تعكس ثقافات المجتمعات وقيمها . وأثرت الاختراعات على االثقافة تأثيرًا مهما وأخرجتها من أبراجها ، وجعلتها فى متناول الجميع فى المدن والقرى ، بل وفى النجوع والكفور .

وفى السنوات الأخيرة حدث التزاوج بين تكنولوچيا الاتصالات وتكنولوچيا الحاسب الآلى لكى تظهر ثورة جديدة فى عالم الاتصالات تؤدى إلى تفجر المعلومات . وتم استخدام الأقمار الصناعية فى نقل الصور والأنباء والبيانات وكافة المعلومات عبر الدول والقارات بطريقة فورية[٣٢] الأمر الذى زاد من إمكان تبادل المعارف والمعلومات والأفكار ، ومن ثم إمكان تبادل الثقافات .

لقد شهد النصف الثانى من القرن العشرين من الاختراعات ما لم تشهده مسيرة الإنسانية جميعها . ويمكننا القول إن الثقافة قد أفادت من جميع المستجدات فأثرتها واستوعبتها وتكيفت معها وبها ، عندما كانت التطورات مواكبة للتغيرات ومتلاحقة معها ، وكان الأخذ والعطاء بين الدول يتناسب مع ظروف وإمكانات كل دولة ، سواء تم ذلك بطريق رسمى أو غير رسمى .

فعلى المستوى الرسمى عندما بدأت الدول تضطلع بمهام رئيسية فى مجال الثقافة فى الخمسينيات – خاصة بعد الإعلان العالمى لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨ وما تضمنه من حق كل فرد فى الإسهام فى الحياة الثقافية (مادة ٢٧)[٣٣] – اتخذت عملية نقل التراث العالمى عن طريق النقل والترجمة بالنص المطبوع والصورة المرئية والمستنسخات والشرائط الصوتية ، وعدت هذه المهمة من مهام وزارة الثقافة .

وتحددت معايير الاختيار الخاصة باستيراد هذا التراث العالمى على أساس

الانتقاء من الثقافات العالمية المعروفة ، وأن عملية الاختيار تتم وفقا لما تقبله النفوس من روائع وافدة على التراث المحلى ، بحيث يمكن تجنب ما ينفر هذه النفوس من الأفكار والصيغ والأشكال المستوردة غير المألوفة[٣٤] .

وكانت قد وضعت ركائز أساسية اتفق عالميًا على عدها ركائز محددة لمهام الدولة ومسئولياتها فى مجال الثقافة . هذه الركائز هى :

١- حفظ التراث الثقافى بكل أنواعه .

٢- إحياء التراث وتهيئة الأسباب لنشره ، ليظل دعامة للتأصيل الثقافى .

٣- تشجيع الإبداع والابتكار والتجديد ، ورعاية مبدعى الثقافة مع توفير مناخ الحرية لهم .

٤- استنباط الوسائل التى تتيح لكل أفراد المجتمع حقهم فى الثقافة وفق الإعلان العالمى لحقوق الإنسان مع القيام بنشر النتاج الثقافى والتبادل الحر بين الثقافات وبعضها .

واستنادا على هذه الركائز أمكن تحديد الخطوط العامة للسياسة الثقافية فى توفير متطلبات تنمية العقل والوجدان ، وصقل سلوك الإنسان ، والعناية ببنائه الروحى . ووفقا لهذا المبدأ فإن الثقافة عدت استثمارا له عائده الفكرى والاجتماعى . لقد تمت عملية النقل والاستعارة من روائع الفكر العالمى والثقافة الإنسانية على مهل وبعد دراسة وتمحيص لاحتياجات المجتمع ومتطلبات أفراده بما يمكن الارتقاء به فكريًا ووجدانيًا وترقية ذوقه العام . ولم يلزم أحد أحدا بما يستعيره أو يستخدمه من مكونات أو عناصر ثقافية ، ولكنها كانت أساسية تعود

على المجتمع بالفائدة . وعلى المستوى غير الرسمى كان الأخذ عن التراث العالمى يتم بتعقل ودون إسراع أو انبهار ، فكانت هناك السياحات الفردية أو الجماعية والسفريات والبعثات التى أوفدتها جهات غير رسمية ، فكانت عملية الاختلاط والمخالطة تعود على المجتمع بالفائدة وبالنفع والتجديد[٣٥] .

لقد اتفق عالميًا على أدوار الدولة فى المجال الثقافى عن طريق ما تم عقده من مؤتمرات حضرها وزراء الثقافة فى العالم أجمع ، وكانت اليونسكو منذ البداية متفهمة لخصوصيات كل ثقافة ، فلم تنشأ أن تضع تعريفا للثقافة يلتزم به الجميع ، واتجهت إلى إطلاق ما يسمى بالسياسة الثقافية ، معتبرة أن ذلك هو الأنسب أمام التقدم الهائل فى ميدان العلوم وتطور وسائل الاتصال ، وقدرة الإنسان التى تزداد يوما بعد يوم بما يتفوق به على الطبيعة والحدود الجغرافية والزمانية ، وهو ماسيجعله غير قادر على الالتزام بتعريف واحد للثقافة . ومازالت اللجان المنبثقة عن اليونسكو تراعى الخصوصيات الثقافية عند التبادل الثقافى . وقد بدا ذلك فى تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية التى أقرت أنه مع ازدياد الامتزاج بين الشعوب بصورة غير مسبوقة بدأ المجتمع فى الانجذاب نحو أطر عريضة للتعاون والمشاركة . على أن معظم هذه الشعوب كان يرى أن النظام العالمى يفتقر إلى التوازن والتماسك ، الأمر الذى حدا بالكثيرين إلى الالتفاف للثقافة بوصفها وسيلة لمقاومة سلبيات النظام العالمى أو بوصفها حصنا وملاذا[٣٦] .

وتقر اللجنة أن الثقافة هى الحصن الذى يمكن الاحتماء به ضد سلبيات النظام العالمى . لذلك كانت ضرورة الاعتناء بالثقافة وحمايتها من التغريب ، ولكن بتزايد موجة الاتصالات نجد أن دور الدولة - ممثلة فى الأجهزة الرسمية

التى ترعى الثقافة - يصبح دورا تابعا وغير مؤثر، بعد الانفتاح العالمى وتزايد القنوات وتنوعها وإمكان وصولها إلى الجمهور المستقبل دون تحكم ودون هوائيات .

هنا تصبح عملية الاتصال الثقافى التى تمت على أسس وتحت رعاية رسمية وغير رسمية مهددة بعد أن أصبح الاتصال من جانب واحد من الشمال إلى الجنوب ممكنا دون قيود ودون توفر إمكانية الرد أو الحق فى الرد أو إفساح المجال للتبادل الثقافى الفنى والأدبى والتشيكلى الحر الذى كان يحدث فى الماضى .

مخاطر عدم توازن الاتصال الثقافى

وتتمثل مخاطر عدم التوازن فى الاتصال الثقافى - كما يراها أحد الباحثين - فى :

١- إيجاد نموذج اجتماعى يؤثر على تكوين الرأى العام والقيم السياسية .

٢- تشجيع نمط موحد عالميا للسلوك الاستهلاكى .

٣- التأثير على التحرك الاجتماعى وعلى مشاريع التنمية الفردية والجماعية .

٤- وضع العقبات أمام الجهود التى تبذلها البلاد النامية لتثبيت دعائم استقلالها السياسى والثقافى ولضمان سيادتها[٣٧] . بالإضافة إلى اهتزاز الذاتية الثقافية وإمكان اختراقها .

أدوار الإعلام

لقد تحددت أدوار الإعلام ومهامه فى مجموعة من المسئوليات من قبل تزايد قنوات البث المباشر هى :

١- الإسهام فى تكوين صورة ذهنية عن الأفراد والمنشآت والدول .

٢- إمداد الأفراد بالمعلومات وخلق آراء عن الموضوعات الجديدة .

٣- إشباع الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأفراد ، وتقريب المفاهيم المختلفة بينهم .

٤- يمكن للإعلام أن يشكل امتدادا لدور الأسرة خاصة فى المجتمعات الحضرية .

٥- يعمل على ربط الفرد بأحداث مجتمعه وقضاياه ، وهو بذلك يسهم فى تحقيق الوعى الاجتماعى والتنمية الذاتية للإنسان .

والإعلام بهذه الأدوار المرسومة يسهم مع الثقافة فى دور مهم من أدوارها ، وهو الدور التثقيفى ؛ حيث يساعد على تثقيف الأفراد ومدهم بالمعلومات الحديثة والمعاصرة ، ويساعد على تنمية الإحساس الوطنى وربط الأفراد بمجتمعاتهم ، مع المحافظة على الانتماء الوطنى أو الدائم بين أفراد المجتمع ، وهى عملية مهمة من العمليات التى تقوم بها الثقافة فى المجتمع ، وتدخل فى صميم عملية التنشئة الثقافية . وكما يرى بعض الباحثين فإن الإعلام من المؤسسات التى تؤدى دورا فى تنشئة الأجيال ببث المعلومات المعاصرة لهم وربطهم بمجتمعاتهم .

التأثير السلبى للإعلام

إن هذا الدور - كما يرى بعض الباحثين - له جوانب سلبية ، نتيجة التحكم فى بعض الاتجاهات ، وفرض سياسات لا تتفق وطبيعة المرحلة الحالية ، وهو ما أثار انتقادات وجهها الباحثون لأدوار الإعلام ، فعلى سبيل المثال أثارت قضية

صلة الاتصال بالوعى ومدى تأثير الوسائل على تشكيل وعى الأفراد قلق الباحثين وتساؤلاتهم ، وأثارت اهتمام اللجنة الدولية لبحث مشكلات الاتصال ، وتناول الباحثون تلك القضية بالبحث وأثاروا تساؤلا حول : هل من حق المتحكمين فى وسائل الاتصال أن يتحكموا فى وعى الناس خاصة بعد التطور الهائل فى تكنولوچيا الاتصال ؟ وقد تفاوتت آراء الباحثين فى ذلك . غير أن هناك إدانة شديدة لوسائل الاتصال فى هذا المجال ، رغم إجماع الآراء على أن وسائل الإعلام تهيئ المناخ الصالح للتنمية والتغيير بما تقدمه من معلومات تتيح الانفتاح على الدول المتقدمة ، وتوسع آفاق الأفراد ، وتزيد حصيلة معلوماتهم ، وتثير طموحاتهم[٣٨] .

على أن ما يسود العالم هو أن وسائل الاتصال هى التى تشكل الرأى ، حيث يجرى تقييم الرأى العام بشكل مستمر حتى يمكن لصانعى القرار تحقيق المواءمة بين أفعالهم والرأى العام ، يتم تقييمه حتى يمكن وضع استراتيچيات بهدف تغيير الرأى العام وجعله متماشيا مع قرارات أولئك الذين يحكمون[٣٩] ، بل يصبح من الأمور المفترضة فى المجتمعات الديمقراطية أن وسائل الإعلام تستطيع أن تؤثر - بل إنها تؤثر بالفعل - فى الرأى العام[٤٠] .

ويشير الباحثون إلى وجهة النظر الماركسية التى تقرر أنه قد توجد فى كل المجتمعات طبقة مسيطرة تتحكم فى كل من وسائل الإنتاج الفكرى والمادى ، وتستطيع من خلال سيطرتها على وسائل الإنتاج الفكرى الإشراف على تشكيل مجموعة من الأفكار والمعتقدات التى تخدم مصالحها[٤١] ، وأن عملية غسيل المخ والتلقين أو التحويل الفكرى - فى رأى الباحثين - تطورات أو استخدامات

حديثة للسيطرة على عقل الإنسان والتحكم فى سلوكه . هذا الهدف نفسه هو محور وسائل الاتصال بالجماهير جميعا ، وإن اختلفت الوسائل فى طريقة التحقيق وفى الدرجة لا فى النوع والجوهر[٤٢] . وهذا ما أكده ماركس وقرره من أن الطبقة التى تستحوذ وتتحكم فى قوى الإنتاج المادى تستحوذ فى الوقت نفسه على وسائل الإنتاج الفكرى .

ومن الباحثين من يقرر أن كل شيء يتوقف على من يشد خيوط الإنتاج الروحى وتشكيل الرأى العام . فمن الناحية الرسمية نجد أن حرية الخطابة وحرية الصحافة تكفلان حرية التحدث للأفراد عما يدور فى أذهانهم وتوصيل آرائهم إلى الجميع قاطبة . أما الحقائق فتختلف عن ذلك ؛ إذ إن عشرات الصحف وشركات الإذاعة والتليفزيون تسيطر على اختيار المعلومات وتفسيرها ، وبإيجاز فإن أى شخص حر فى أن يقول ما يعتقده ، ولكن لا يستطيع أن يفكر بحرية مادامت المادة قد اختيرت له على نحو متميز . إن عملية تفكيره نفسها تعبأ بإلحاح وتحيز وتعصب أيديولوچى[٤٣] ، علاوة على ذلك فإن وسائل الاتصال لا تقدم الحقيقة نفسها ؛ لأن كلًا منها تميل إلى إبراز جانب معين أو زاوية معينة من الحقيقة ، فيتلقى الجمهور الرسالة المطلوبة من زوايا تتفاوت وتتقارب بتفاوت وسيلة الاتصال ، ويأتى من هذا وجود فرق بين قراءة الموضوع الواحد فى جريدة أو كتاب ، ومشاهدته فى السينما أو التليفزيون أو استماعه فى الراديو ، فوسائل الاتصال ليست وسائل سلبية فى نقل الرسائل ، كما أنها ليست صناديق فارغة محشوة بالمواد التى تتألف منها . فمحتوى الرسالة يتغير بتغير الناقل ، ولكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها المختلف فى معالجة الرسالة . ومعنى اختلاف المعالجة أن الرسالة الفعلية التى يتلقاها الجمهور تختلف وتتفاوت[٤٤] . ويترتب

على كثرة من وسائل النقل والاتصال الجماهيرى والإنتاج المتعاظم لصناعة أوقات الفراغ والإعلام مواقف وعادات مفروضة وردود فعل فكرية وانفعالية معينة تربط المستهلكين بالمنتجين ربطا مستحبًا بهذا القدر أو ذاك ، ومن ثم تربطهم بالمجموع ؛ لأن المنتجات تكيف الناس مذهبيًا وتصنع وعيا زائفا عديم الإحساس بما فيه من زيف . وعندما تصبح هذه المنتجات المفيدة فى متناول عدد أكبر من الأفراد المنتمين إلى طبقات اجتماعية أكثر تعدادا تخلق قيم الإعلان والدعاية طرزا للحياة ، وهى بلا أدنى شك طرز للحياة أفضل من الطرز السابقة ، ولكن من هنا بالذات يكتسب مناعة ضد كل تغيير نوعى ، وهكذا يتكون الفكر والسلوك الأحادى البعد ، ويقصد بذلك أن الأفكار والتطلعات التى تتجاوز من حيث مضمونها ، عالم الكلام والعمل القائم تطرح وتنبذ ، أو يقضى عليها بأن تكون جزءا من هذا العالم ومصطلحا له ، إذن فعقلانية النظام واتساع نطاقها يضيفان تعريفا جديدا على تلك الأفكار والتطلعات[٤٥] . أو ليس هذا هو ما تحاول وسائل الاتصال الخارجية القيام به تجاه الدول النامية أو الأقل منها نموًا .

وإذا كانت الحكومات العربية - بدرجات متفاوتة - تعى دور وسائل الاتصال فى توصيل المعرفة إلى الناس ونشر الثقافة بينهم وتعليمهم والإسهام فى تكوين الذوق وتهذيبه وتقديم التسلية المفيدة للمتلقين ؛ فإنها فى الوقت ذاته ترى أن الراديو والتلفزيون - بما لهما من فاعلية وقوة وتأثير - يجب أن يتوجها فى المقام الأول لدعم سياسات السلطة المتولية للحكم ، وتجهيزها والترويج لمؤسسات الدولة وإبراز إيجابياتها[٤٦] . فاهتمامها بالثقافة عرض طارئ ، وما تقدمه من برامج يكون فى أحيان كثيرة غير ذى نفع ، وفى أحيان أخرى ضارًا بالمشاهدين ضررا مباشرا[٤٧] . ويذكر أحد الباحثين العرب أن ما نشاهده حاليا من انحباس

إمكانية الوعى – فى مجتمعنا العربى الذى يرزح تحت نير المفهوم السلعوى للعلم والتنمية – مصدره ما يمارسه التعامل الاستهلاكى مع التقدم والتصور الاستيرادى للتكنولوچيا من كبت للطاقات الإبداعية الذاتية، ولجم للإسهام والمشاركة الحقيقية فى حل قضايا التنمية[٤٨] . وإن النظرية العامة التى تحكم هذه الممارسات تدين بالتبعية شبه الكاملة للنظريات الغربية فى الإعلام مضافا إليها السمات الخاصة بالواقع السياسى والاجتماعى فى الوطن العربى (سيطرة النظم الأوتوقراطية والفلسفات السلفية والنظرة الاستعلائية للجمهور بسبب انتشار الأمية والتخلف الاجتماعى)، فالإعلام العربى يقوم بدور أساسى فى عمليات الضبط الاجتماعى وحماية الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة، ولا يحترم عقلية الجماهير، ولا يحرص على تلبية احتياجاته الإعلامية والاتصالية[٤٩] .

ومن ناحية أخرى وظفت وسائل الإعلام للتبشير بقيم الغرب وأخلاقياته وعدها المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذى، وأدى هذا التوظيف الخاطئ للإعلام إلى أن سادت أفكار وطروحات تدعو إلى تحويل عقائد الفرد وقيمه الأصلية إلى أوضاع عصرية وقيم غربية، وتدعو إلى أن يقوم الإعلام بالحث على التنمية من خلال ترسيخ نظام القيم الغربية فى نفوس الناس على أساس أنها الجسر المؤدى إلى التحضر والمدنية[٥٠] . وكان منطق الإعلام العربى حفز الدافعية الفردية نحو الأهداف المادية والرغبات الحسية لتحقيق حياة أفضل على النسق الغربى المادى، ونتيجة لذلك كان على الإعلام أن يشجع المزيد من التطلعات فى النمو الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة وزيادة المشاركة السياسية، ولم ينجز شيئا من ذلك، وانتهت ثورة التطلعات إلى إحباط وفشل ذريع، وتعمقت أسباب الظلم المتمثلة فى ازدياد الهوة بين الأغنياء المستغلين والفقراء المسحوقين. وهذه المظاهر

ما هى إلا مظاهر لواقع مر هو انسياق ذوى القرار فى الوطن وراء إغراء النماذج العلمية والإعلامية الجاهزة بوصف ذلك حلّا بسيطا وسهلا يعفيهم من عناء اختيار الطريق الصحيح والكفيل بتوفير المقومات الفعلية لإبداع سياسة علمية إعلامية وتكنولوچية تستجيب لحاجات المجتمع الفعلية ، وليس لرغبة فى التقليد ومحاكاة نموذج التقدم اعتقادا أن ذلك هو سبيل تحقيقه ، وهذه الرغبة بالذات هى التى تقود إلى انعزال العلم والتكنولوچيا وتكريس التبعية فهى حلقة مفرغة ومنسدة[٥١] .

وفى رأى أحد الباحثين أن مسألة التعريب والتغريب لم تقتصر على نقل أفكار ومذاهب نقبلها أو نرفضها ، ولكن نمطا كاملا من الحياة هو الذى يخترق أسوار كل المعاقل والوطنيات والهويات الثقافية والعقائدية ، إنه نمط هذا العصر لا يستطيع أحد اختياره كما لا يستطيع رفضه ، ولكن يمكن على الأقل تسليط بعض الوعى حتى لا يظل هذا العصر وحده يسكننا بأوهامه ومعاييره كما يشاء ، بل نحاول نحن أن نسكن فيه وعلى طريقتنا[٥٢] . وفى هذا الصدد يرى أحد الباحثين أن وسائل الإعلام بكل تأثيرها على تشكيل العقل المصرى المعاصر استقالت من أداء وظائفها وأخلت الطريق أمام مهمة الترفيه ، بل إنها فى كثير من الأحيان تلعب دورا إيجابيّا بارزا فى تزييف الوعى[٥٣] .

إن عواقب بث وإذاعة ونشر نتاجات حضارية ، سواء فى شكل رموز لغوية أو غير لغوية قد تكون أدهى وأمر ، خاصة وأن بنى مؤسسات المجتمع العربى مازالت مشروعا حضاريّا لم يكتمل بعد . والمفارقة التى يعانى منها العالم العربى مفارقة تاريخية إعلامية علمية تكنولوچية تتمثل فى أنه لم يحقق النموذج

الكلاسيكى للتنمية ، فى وقت هو مضطر فيه إلى تحقيق النموذج الثانى ؛ أى الثورة الإعلامية والتكنولوچية ، ولا سبيل إلى الخروج من هذا المأزق إلا بسن سياسة إعلامية وعلمية نهضوية يؤطرها مشروع حضارى متحرر يريد بناء مجتمع مثقف ؛ ذلك أن تنمية منظومة العلوم التكنولوچية العربية ودمجها العضوى بالمجتمع العربى يشكلان جزءا رئيسيًا من المشروع الحضارى لهذا المجتمع ، وهى مهمة تاريخية لابد له أن يعمل بإصرار وأناة على إنجازها[٥٤] . إن إثارة الوعى المعلوماتى فى الوطن العربى واستنهاض همم النخبة السياسية وصانعى القرار والمثقفين العرب لكى يرتفعوا بمستوى التحدى الذى يمثله عصر المعلومات بكل ما يتضمنه من تطورات خطيرة - ستحدد بدون أدنى مبالغة مصير الجنس البشرى فى القرن الحادى والعشرين والقرون التالية ، وهى نقطة الانطلاق فى أى مشروع عربى وفكرى[٥٥] .

والإعلام بعد هذا العرض لآراء الباحثين - من تخصصات متنوعة - متهم من زاويتين ؛ الأولى رسائله الموجهة إلى الجماهير فى محاولة للسيطرة عليها وإخضاعها لرؤية مالكى الوسائل الاتصالية وإيهامهم بأن تلك هى رؤيتهم ، وهو ما يخلق فكرا أحاديا كما يذكر (هربرت ماركوز) وغيره من الباحثين ، ويؤدى إلى تزييف وعى الجمهور ، حيث ينساب الإعلام فى اتجاه واحد من أعلى إلى أسفل مستندا إلى فلسفة لا تحترم ثقافة الجمهور أو عقليته ولا تعبر عن آرائه . وكما استخدمت التكنولوچيا الحديثة من جانب طبقة لتقهر طبقات أخرى داخل الدولة استخدمت من جانب الأمم المتقدمة تكنولوجيًا لقهر سائر الأمم ، ولم يعد هناك مفر أمام المتلقى من الامتناع عن مشاهدة الـ C . N . N أو القنوات الفضائية .

أما الزاوية الأخرى فهى أن الإعلام يقوم بعرض ونقل برامج ونماذج غربية لا تتفق واحتياجاتنا الإعلامية والثقافية ، بل تؤدى إلى الاغتراب والتفسخ والانبهار ، وقد انتهت ثورة التطلعات التى قصدها الإعلام بالفشل وزيادة الهوة بين الأغنياء والفقراء ، بل وتفاقمت المشكلات فى الدول النامية وتزايدت القروض والديون والأزمات . والمسئولون منساقون إلى تقليد النماذج الغربية وأنماط الحياة الخارجية ، وهو ما يكرس التبعية للغرب ويخترق أسوار الهويات والوطنيات ، ولا يقومون باختيار الطريق الصحيح الكفيل بابتكار سياسة إعلامية وثقافية تستجيب لحاجات الجمهور الفعلية وتسهم فى إشباع متطلباته وتعمل على تنمية وعيه واستنهاض همته ، لكى يرتفع إلى مستوى التحدى الذى يمثله عصر العولمة . وفى ظل ثورة الاتصالات الحالية والتوسع التكنولوجى فى عالم الاتصال واستخدام القنوات الفضائية ، يصبح على الدول التزام أدبى تجاه مجتمعاتها ، وهو تنمية وعى الجمهور إزاء التحديات القادمة وتوخى الصدق والموضوعية عند عرض الموضوعات والقضايا التى تبرز فى المجتمع وتعطى للرأى الآخر الفرصة والمساحة لعرض وجهات النظر المختلفة ، وتحقيقا لذلك يفترض عدم اقتصار الإعلام على الاتجاه من أعلى إلى أسفل فحسب ، بل أن يتجه من أسفل إلى أعلى أيضا ؛ أى من الجمهور إلى أصحاب القرار ، ويصبح الإعلام رأسيًا وأفقيًا فى الوقت نفسه ، وأن يهتم بالوظيفة الثقافية ونمو الوعى المجتمعى ، وعندما يتوافق الإعلام مع أحداث الواقع والمواقف الاجتماعية القائمة ويبعد عن التقليد أو الأحكام غير القابلة للتطبيق يكون بذلك قد أدى دوره وأسهم فى تنمية الوعى وعدم تزييفه[٥٦] .

المبحث الثالث

العولمة وآثارها وكيفية التصدى لها

١- تعريف العولمة

يرى أحد الباحثين أن العولمة نوع من أنواع العالمية استقرت له ملامح فى أعقاب سقوط القطبية الثنائية بمعناها التقليدى ، وفى أعقاب انهيار نظام دولى قام على أيديولوچيتين متعارضتين . وهى تأكيد لفكرة أننا جميعا بتنا ننسب أنفسنا إلى عالم واحد وقيم واحدة وأيديولوچية أساسية واحدة بعد أن كان النظام الدولى السابق قائما على الهرمية ، بمعنى أن الدولة ذات سيادة وهى اللبنة الأساسية ، واتصافها بصفة السيادة يعنى أنه ليس هناك سلطة تعلو سلطة الدولة ، وأنها فى مفهوم الشرعية الدولية هى المرجع ولو من الوجهة النظرية . ومع العولمة لم تعد الدولة ذات سيادة ، ولم تعد سيادة الدول تحظى بحصانة مطلقة كما كان الحال من قبل ، بل أصبحت تنتهك وتخترق بطرق شتى مادية ومعنوية[٥٧] .

وتعنى العولمة كسرا للحواجز وسقوطا للفوارق الإثنية والثقافية ، وتقاربا فى المسافات بمعناها المكانى والاجتماعى ، وهى تختصر الزمن والمسافات وتضعف من الهوية ، وتعمل على انحراف الثقافات والذوبان فى الهلامية العالمية .

العولمة تعنى الهيمنة وتهدف إلى تهميش الثقافة المحلية ، وتعمل على تحرير التجارة والثقافة ، وكأن الثقافة هى الأخرى سلعة من السلع تخضع للتحرر وتربط الناس بعالم اللاأمة واللادولة .

العولمة فى الحقيقة عولمة نمط من الحياة[٥٨] ، أداتها الرئيسية هى الشركات العملاقة متعددة الجنسيات ، وعناصرها الرئيسية ازدياد العلاقات بين الدول ، سواء بتبادل سلع وخدمات أو انتقال رءوس أموال أو انتشار معلومات وأفكار أو تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم . إنها مفهوم مركب بأبعادها المتعددة المتشابكة ، وهى بمثابة سوق عالمية تكونت فى فجر الرأسمالية ومع ظاهرة الاستعمار ، وما ارتبط به من تجارة دولية وتصدير ونهب للمستعمرات .

العولمة تعنى تسريع الانفتاح على السوق العالمى بطرق تدفع نحو إزالة الحواجز أمام التجارة الدولية للسلع والخدمات ، وإلغاء القيود على الاستثمار الأجنبى المباشر مع تحرير التدفقات المالية والنقدية فى القرية المالية العالمية ، وتعميق الاندماج فى الاقتصاد العالمى .

والعولمة منطقتها الأساسية عالم بلا حدود ثقافية أو إعلامية أو بيئية أو اقتصادية ، قاطرته الشركات العابرة للقومية ، وأيديولوچيتها الليبرالية الجديدة وشبكة المنظمات الاقتصادية والسياسية والثقافية والتقنية المهنية غير الحكومية ، التى تتكامل فى الأخير فى محاولة إبراز المنظمات غير الحكومية بوصفها كيانا مؤسسيًا عالميا لا يزيل سلطة الدولة القومية ولكن ينتقص منها باستمرار ويضعها فى زوايا الدفاع عما يسمى بوظائفها السيادية .

ويرى البعض أن العولمة حدث كونى ندخل معه العصر الكواكبى ، حيث السيطرة للإنتاج الإليكترونى والمجال البصرى والفضاء السبرانى . إنها التكامل السريع لاقتصاديات جميع الدول من خلال تحرير التجارة الدولية ، وتشجيع التدفقات الرأسمالية ، وانتقال العمالة ، واستخدام التكنولوچيا وشبكات

المعلومات والتيارات الثقافية العابرة للحدود .

ويرى بعض الباحثين أن كثرة الكلام عن العولمة فى السنوات العشر الأخيرة لابد أن يكون سببها نشأة الظاهرة بل نموها بمعدل متسارع ، فضلا عن وجود مصلحة للبعض فى الإلحاح على أن شيئا جديدا آخذ فى اكتساح الكون ، بينما هو مجرد تسارع حديث لظاهرة قديمة ومستمرة . ويرى آخرون أن العولمة التى تسمح بانتقال الأموال والبضائع بين الأمم تحد من حركة انتقال الأفراد فما زال انتقال البشر أكثر تباعدا .

وبالنظر إلى آراء الباحثين فى العولمة ، ومحاولات البعض وضع تعريفات لها، نجد أن هناك الكثير من الآراء تجاه العولمة تتعدد بتعدد اتجاهات الباحثين ورؤاهم .

وقد قام أحد الباحثين بحصر تعريفات العولمة فى أربع مجموعات : المجموعة الأولى تراها حقيقة تاريخية ، والمجموعة الثانية تراها مجموعة تجليات لظواهر اقتصادية ، والمجموعة الثالثة تراها هيمنة للقيم الأمريكية ، أما المجموعة الرابعة : فتراها ثورة تكنولوچية واجتماعية[٥٨] .

وبذلك تتحدد التعريفات فى :

الأول : العولمة بوصفها حقيقة تاريخية أكثر منها ظاهرة اجتماعية لها بداية هى ما عرف بالوفاق الذى ساد بين القطبين المتصارعين ، وأنها أعقبت الحرب الباردة .

الثانى : التعريف الذى يركز على الدولة وظيفيًا بوصفها سلسلة مترابطة من الظواهر الاقتصادية ، بدءا من تحرير السوق وانسحاب الدول من بعض المجالات ، إلى توزيع الإنتاج المصنع العابر للقارات من خلال التكامل بين الأسواق

الرأسمالية وبعضها ، ويشير التعريف إلى أن الكثير من الأنشطة ليس جديدا تماما ، ولكنه فى الواقع إحدى النتائج الخاصة بالتقارب الملحوظ بين النظم السياسية المختلفة فى اتجاهاتها الأساسية حاليا .

الثالث : يشير إليها من منظور أنها ظاهرة تمثل تقدما فى التاريخ ، ترمز لانتصار ظواهر التحديث والديمقراطية بوصفها نظاما سياسيا . وأنصار نظرية التحديث فى الفكر السياسى الأمريكى يرون أنه وفقا لهذا فإن التجانس فى القيم ينبغى أن يتم من خلال التمسك بمبادئ الرأسمالية الديمقراطية .

الرابع : ينظر لها على أنها ثورة تكنولوجية واجتماعية ، وأنها شكل جديد من أشكال النشاط يتم فيه الانتقال من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم المابعد الصناعى للعلاقات الصناعية . وأصحاب هذا الاتجاه يسعون إلى تدعيم السوق الكونية الواحدة بتطبيق سياسات مالية وائتمانية وتكنولوچية واقتصادية شتى . وهم لا يقيمون اعتبارا للزمن بل يرون أن الزمن لا معنى له وأن الفضاء قد تم ضغطه عن طريق تكنولوچيا الاتصال ، وأدى إلى ظهور الاقتصاد الذى يقوم على تلاحم الشبكات المختلفة Network Economy .

وقد يلمس كل تعريف من هذه التعريفات الواقع من ناحية معينة ، ولكن من الملاحظ أنها جميعا يمكن أن تعد مكونا أساسيًا لتعريف واحد يدور حول العولمة . فهى تمثل حقبة تاريخية ، وهى تجلٍّ لظواهر اقتصادية ، وهى هيمنة للقيم الأمريكية ، وهى أيضا نتيجة لثورة تكنولوچية واجتماعية .

٢- مميزات العولمة

تجد العولمة أنصارا يدافعون عنها ، وتتمثل حجج الدفاع عن العولمة فى أنها

تسهم فى تحقيق الكفاءة ورفع معدلات النمو ، وتتيح التخصص وتقسيم العمل ، وأنها عملت وتعمل على انتهاء عصر الأيديولوچيا ، ولها مزايا الانفتاح على الآخر والتعامل معه ، وهى ليست مع الولاء التقليدى للوطن أو الأمة ، وتعمل على تحقيق مزايا السلام والابتعاد عن أضرار الحرب ، بالإضافة إلى ما تؤدى إليه من انحسار لقوة الدولة بدون أن يعنى ذلك أن الدولة المعاصرة ليست لديها وظائف جديدة مهمة عليها القيام بها ؛ فالدولة تعمل فى خدمة المصالح الجديدة (وهذه المصالح فى الأساس مصالح الشركات الدولية العملاقة) .

والذين يدافعون عن العولمة يتصورون أنها تحرير من ربقة الدولة القومية إلى أفق الإنسانية الأوسع ؛ تحرر من نظام التخطيط الآمر الثقيل إلى نظام السوق الحرة ؛ تحرر من الولاء لثقافة ضيقة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا ؛ تحرر من التعصب لأيديولوچيا معينة إلى الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أى تعصب ؛ تحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة من التميز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوچيا بعينها إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة كما يدافعون عنها . ويتم تصويرها على أنها عملية تحرر من مختلف صور الاستعباد .

وهذه الادعاءات هى التى يدافع بها أنصار العولمة عنها معددين لمزاياها وفوائدها.

ب – استراتيچيات مواجهة العولمة

لقد تصدى الباحثون والمفكرون للقضية بتفنيد الآراء والمزايا التى ذكرها أنصار العولمة ، وبوضع تصوراتهم واقتراحاتهم ، على أساس أنه ليس هناك أى التزام دينى أو خلقى أو فنى يجبرنا على قبول هذه السلع والخدمات والثقافات بالذات[٥٩] .

فإذا كانت العولمة هيمنة للقيم الأمريكية فإن صياغة أطروحات تتعلق بنجاح الخصوصيات الثقافية فى مواجهة الهيمنة الأمريكية تعد ضرورية ؛ وذلك من خلال قيام الدول المهددة بعملية إحياء ثقافى واسع المدى ، تدمج فيه الأصالة بالمعاصرة . وأن تتحول وتنطلق من قيود الاستبداد إلى آفاق الحرية الرحبة . وحتى يمكن تحقيق هذا الهدف لابد من :

جهود المفكرين ، مبادرات السياسيين ، تأييد جموع الشعب العربى الذى ينبغى له أن يبادر بدخول دائرة المشاركة السياسية[٦٠] .

وهذا يعنى أن انتعاش الثقافة يتوقف على مشاركة المفكرين ودفعات القادة السياسيين بإفساح الطريق للثقافة لكى تزدهر ، بالإضافة إلى مشاركة الجمهور مشاركة سياسية واسعة ، وهو ما يعنى أن المثقفين بدورهم الرائد أول من يساعد على إحياء الثقافة العربية حتى يمكنها التصدى للآثار السلبية الخاصة بالعولمة والصمود تجاه أى تيارات غربية . والمثقفون كانوا هم دائما مَن حمل شعلة التطور والتغيير مع مر التاريخ ، وهم الذين يستشعرون مشكلات مجتمعهم قبل غيرهم ، ثم هم الذين يقومون بالتنبيه ودق الأجراس قبل قدوم أى خطر .

والمبادرات السياسية التى تحتاجها تلك المرحلة من أهم المطالب أيضا ، حيث يتوقف عليها قوة الدفع وشرعية العمل وجوازه، وأخذ المبادرات الثقافة والاجتماعية .

أما المشاركة الجماهيرية التى تحتاجها المجتمعات كى تحيا وتستمر فهى وظيفة مهمة هامة ، وتقع فى دائرة اهتمام الإعلام العربى ؛ حيث إن الإعلام فى حالة قيامه بمهامه الرئيسية يعمل على إيقاظ الوعى وعلى إثارة الاهتمام بكافة الموضوعات . فمازلنا فى حاجة إلى توسيع الجوانب الثقافية فى برامج التليفزيون ،

والعناية فى البث التلفزيونى بمستوى اللغة العربية السليمة . فالأمر فى حاجة إلى علاج إعلامى يستهدف تلافى تلك الأوضاع ، والارتفاع بمستوى الأداء الثقافى لوسائل الإعلام ، حتى يكتمل عملها ويعتدل ميزان ما يقوم به من وظائف فى خدمة المجتمع .

يشير أحد الباحثين إلى أن الخوف من غزارة تدفق المادة الأجنبية والترويجية سواء التى يتعرض لها الناس من الخارج مباشرة ، أو تذيعها برامج التليفزيون القومية ، ومايحمله بعضها من اتجاهات وسلوكيات غير ملائمة لثقافة المجتمع - أدى إلى العمل على تدعيم هياكل الإنتاج الوطنى لإحداث التوازن مع المواد الوافدة ، ولمواجهة احتياجات القنوات الوطنية المتزايدة ، إسهاما فى دعم الثقافة الوطنية ، وتأكيدا للملامح الخاصة للشخصية القومية .

كما أن تنوع الاحتياجات الثقافية والإعلامية ، والرغبة فى مواجهة ضغط العالمية فى الوسائل وما تحمله من رسائل ، وما تؤدى إليه من انحراف فى الاهتمامات والتوجهات - اقتضى العمل على اختيار بديل تكنولوچى آخر على الطرف الآخر من العالمية ؛ ونعنى به التكنولوچيا الصغيرة الملائمة للمجتمعات الصغيرة الإقليمية والمحلية . وهذه إحدى سمات عصر المعلومات والاتجاه إلى العالمية ، وهى فى الوقت نفسه اتجاه إلى اللامركزية[٦١] .

وتكمن المشكلة فى عدم تغيير السياسات الإعلامية بما يتوافق مع التحديات الجديدة ؛ حيث إن عملية مواجهة الوافد الأجنبى بزيادة ساعات الإرسال الوطنى وتزايد القنوات المحلية لن يوقف تيار العولمة ، أو يتصدى لانتشاره والتأثر بها ، ويصبح هناك ضرورة لوضع سياسة إعلامية حقيقية هدفها زيادة وعى الجمهور بما

يدور حوله ، والتركيز على تبصيره بما يفعل . ربما تكون زيادة الجرعات الثقافية وليست الترفيهية التى تقدم المضمون الإعلامى أحد الحلول ، ومخاطبة الجمهور مخاطبة واعية عن طريق الأعمال الدرامية من ناحية ، والمناقشات المستمرة لزيادة وعى الجمهور من ناحية أخرى حلّا آخر ، بعد أن ثبت جاذبية الدراما والتفاف الجمهور حول الأجهزة لتلقيها فى أوقات ثابتة ، فلماذا لا توضع خطة تثقيفية شاملة تتضمن الدراما وغيرها من المواد ، يكون هدفها زيادة وعى الجمهور وتبصرته بما يحاك له ، ومناقشة سلبيات العولمة خاصة السلبيات الثقافية .

وتصبح هناك ضرورة لأن يقوم الإعلام بإنتاج برامج ثقافية عربية متنوعة تخاطب المجتمع العربى ، تتناول العولمة ومخاطرها على الثقافة ، وتهدف إلى التنبيه الدائم بما يحيط بنا من مخاطر ، بالإضافة إلى إنتاج مسرحيات وأفلام وتمثيليات تطرح للجمهور ، ويتم وضع مضمونها من لجنة من المثقفين للهدف نفسه ، متضمنة عظمة الحضارة العربية وتأثيرها على العالم العربى ، موضحة ما تزخر به من قيم رفيعة وأخلاق سامية ومبادئ عريقة .

لقد تأكد أن استراتيجيات مواجهة العولمة تتمثل فى :

أولا : التمسك بالذاتية الثقافية وما تتمثله من معانٍ ، والتأكيد على الخصوصية المحلية فى كل مكونات الثقافة ، مع تحقيق التكافؤ وتقوية الشخصية حتى تصبح قادرة على التحاور بندية مع الآخر .

ثانيا : تطوير آليات واستراتيجيات للتعاون الدولى أو الإقليمى بين الدول التى ستضار من العولمة ؛ للتعاون من أجل التصدى ومعالجة الآثار التى قد تنجم عن العولمة ، مما لا تستطيع الدولة منفردة مواجهته .

ثالثا : عدم الانغلاق على الذات ، بل ضرورة المعايشة والاستفادة من كل ما يثرى الثقافة وقيمها ، ويطورها بموضوعية ، والأخذ بما يفيدها[٦٢] .

لقد أقر البيان الذى صدر فى برشلونة (٢٧ نوفمبر ٩٥) أسسا مهمة فى هذا المجال ، وهذه الأسس هى :

١- الإقرار بأن تقاليد الثقافة والحضارة على جانبى البحر المتوسط والحوار بين هذه الثقافات والمبادلات العلمية والإنسانية والتكنولوچية ، تشكل عنصرا رئيسا فى التقارب والتفاهم بين الشعوب ، وتحسين الإدراك المتبادل بينهم .

٢- أن الحوار والاحترام بين الثقافات والأديان شرطان ضروريان لتقارب الشعوب .

٣- أهمية الدور الذى تستطيع أن تقوم به أجهزة الإعلام لتقريب التفاهم بين الثقافات بوصفه مصدرا للإثراء المشترك بين الأطراف .

٤- ضرورة تنمية الموارد الإنسانية والاهتمام بالتعليم والتأهيل فى مجالات الثقافة ، وتشجيع التبادل الثقافى ، ومعرفة لغات أخرى ، مع احترام الهوية الثقافية لكل شريك ، وتنفيذ سياسة مستديمة للبرامج التربوية والثقافية ، واتخاذ التدابير التى من شأنها تسهيل اللقاءات الإنسانية ، والحرص على النظام التام بين وسائل الإعلام والعمل فى إطار التفاهم الثقافى .

فنحن ليس لنا تكنولوچيات أو مخترعات حالية يمكن أن نشارك بها فى ملكية الحضارة الإنسانية المعاصرة وتطويرها ، وإنما الثقافة وحدها هى الرصيد الذى يمكن أن نشارك به فى الحضارة المعاصرة . لقد قدمنا الكثير فى ميادين الإبداع الفكرى والفنى والأدبى ، وقدمنا أدلة على إمكانية إحراز النهضة دون

التضحية بهوية الأمة فى كافة مجالات الإبداع الموسيقى والشعر والفنون التشكيلية ، عندما كانت هناك رغبة صادقة فى النهضة ، مع احترام هوية الأمة فى الوقت نفسه . فهناك الكثير من الأمثلة التى تجمع بين النبوغ واحترام الهوية ، الأمر الذى يدل على أن النهضة ليست بالضرورة مرادفة للرضوخ للعولمة .

إن التمسك بشخصيتنا وتراثنا العربى والإسلامى هو الطريق إلى مواجهة موجات التغريب والغزو . والشخصية القومية بوجه عام تعتمد على بعض العناصر الثابتة ، وتلك العناصر الثابتة تجعل الشخصية بمأمن من الزوال والانهيار . أما العناصر المتغيرة فهى التى تمثل الوافد ، والوافد لا يقضى على الثابت فى الشخصية ، وهل قضى العلم الغربى على شخصية اليابانيين مثلا ؟ فالمكونات الثابتة تحقق نوعا من الاستقرار فى الشخصية القومية .

وبذلك نصل إلى عدة نتائج ، هذه النتائج هى :

● أن قضية العولمة ما زالت موضع جدل ونقاش الباحثين والمهتمين ، ولم يحسم النقاش بشأنها بعد بين المدافعين والمهاجمين لها .

● أن الثقافة ترتبط بالمجتمع وبالأفراد المكونين للمجتمع ، وأن هذا الارتباط يعطيها سمة التعدد والتنوع . وهذا إثراء لأى ثقافة عالمية تعمل على التبادل المتوازن ، وتفسح المجال للإبداع والتفرد والخصوصية . ولا تدعو إلى الشمول والتنميط والسيطرة التى تتجه إليها العولمة .

● أن الإعلام عليه أدوار مهمة فى عصرنا الحاضر ، تقتضيها مستجدات العصر ، بحيث لاتستغرقه الوظيفة الترفيهية على حساب الوظيفة الثقافية أو وظيفة التنشئة الخاصة بالأجيال .

الهـوامش

١- مجدى وهبة ، الثقافة ، القاهرة (مجلة القاهرة ، العدد الأول ، فبراير ١٩٨٥) .

٢- المجالس القومية المتخصصة ، المجلس القومى للثقافة والعلوم ، الدورة الخامسة عشر ١٩٩٣/ ١٩٩٤.

٣- حسن الفقى ، الثقافة والتربية ، الطبعة الأولى (أسيوط - كلية المعلمين ١٩٧٠) .

٤- السيد ياسين ، حوارات المستقبل (القاهرة - جريدة الأهرام فى ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٨) .

٥- د . محمد البارى ، الإطار التربوى لتقنية الأخلاقيات المهنية فى وسائل الاتصال الجماهيرية ، القاهرة ، المجلسة المصرية لبحوث الاتصال ، كلية الإعلام ، العدد الأول ، يناير ١٩٩٧.

٦- سمير حسين ، الإعلام والاتصال بالجماهير (القاهرة - عالم الكتب ١٩٧٨) .

٧- حسين فوزى ، الإعلام المعاصر (مصر - دار المعارف ١٩٨٤) .

٨- جاك شاربنترو رين كايس ، الثقافة الشعبية فى فرنسا (بيروت - منشورات عويدات ١٩٦٩) .

٩- لويس دوللو ، الثقافة الفردية وثقافة الجماهير ، ترجمة عادل العوا

(بيروت - منشورات عويدات ١٩٨٢) .

١٠- المرجع السابق نفسه .

١١- زكى نجيب محمود ، المثقف الجديد ، مجتمع جديد أو الكارثة (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٣) .

١٢- المرجع نفسه .

١٣- توفيق الحكيم ، حديث الثلاثاء (فى الوقت الضائع) (القاهرة - الأهرام فى ٢٢/٥/ ١٩٨٥) .

١٤- مجدى وهبة ، مرجع سابق .

١٥- ت .س . إليوت ، نحو تعريف الثقافة (القاهرة - وزارة الإرشاد القومى ، مؤسسة التأليف والنشر بدون تاريخ) .

١٦- زكى نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة (القاهرة - دار الشروق ١٩٧٨) .

١٧- أحمد شلبى ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية (القاهرة - مكتبة النهضة الحديثة ، ١٩٩٠) .

١٨- مجلة رسالة اليونسكو ، الثقافات ، مركز مطبوعات اليونسكو ، القاهرة - ديسمبر ١٩٧٤ .

١٩- حسين مؤنس ، الحضارة ، الكويت ، ١٩٧٨ ، فى مجدى وهبة ، مجلة القاهرة - العدد الأول ، ١٩٨٥ .

Taylor, E.B, Primtive Culture (N.Y, Harper, 2, Volu, 1958). -٢٠

Lexican- Universal, Encyclopedia, L.Publication, Inc, N.Y. 1984. -٢١

٢٢- محمد الجوهرى ، الأنثروبولوچيا (القاهرة - دار المعارف ١٩٨٢) .

٢٣- مصر واليونسكو ، الشعبة القومية لليونسكو ، السنة الثانية والعشرون يناير / يونيو ١٩٨٤ .

٢٤- محمد عزيز الحبابى ، من المنغلق إلى المنفتح ، عشرون حديثا عن الثقافات العالمية ، مترجم .

٢٥- المرجع السابق .

٢٦- عاطف وصفى ، الثقافة والشخصية (مصر - دار المعارف ١٩٧٥) .

٢٧- إليوت (مرجع سابق) .

٢٨- حسن الفقى (مرجع سابق) .

٢٩- إسماعيل القبانى ، محاضرات فى الوحدة الثقافية العربية ، القاهرة - معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٨٥ .

٣٠- المجالس القومية المتخصصة ، مجلس الثقافة ، الدورة الرابعة عشر ١٩٩٣/٩/٢٠ .

٣١- حسن عماد ، تكنولوچيا الاتصال الحديثة فى عصر المعلومات (القاهرة - الدار اللبنانية ، ١٩٩٣) .

٣٢- فاروق أبو زيد : انهيار النظام الدولى من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد (القاهرة - دار أخبار اليوم ، ١٩٩١) .

٣٣- لويس دوللو (مرجع سابق) .

٣٤- مجدى وهبة ، الترجمة ودورها فى التنمية الثقافية ، المؤتمر الأول للترجمة والتنمية ، القاهرة ، (المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٨٧) .

٣٥- مجلة رسالة اليونسكو ، الشعوب والثقافات ، مركز مطبوعات اليونسكو ، العدد ٢٥٤ ، القاهرة ، ١٩٨٢.

٣٦- التنوع البشرى الخلاق ، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية ، ط ٤ (القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧) .

٣٧- عزيز الحاج ، الغزو الثقافى ومقاومته (بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر) .

٣٨- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الإعلام العربى حاضرا ومستقبلا / ١٩٨٨.

٣٩- ك . چون مارتن -انجوجروفرشودرى ، الإقناع والتعليم وتشكيل الرأى (القاهرة - العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠) .

٤٠- المرجع نفسه .

٤١- Denis Mcquail: Processes of Meadia effects in, Meadia, Knowledge And Power, edited by. oliver Boyd- Barrett And

Peter Brattan at open Un., Coroom Hetm dondon and sydney in Assocation with the open Un. 1991 pp. 100: 105.

٤٢- أحمد بدر، الإعلام والرأى العام (الكويت ١٩٨٦).

٤٣- يورث كرازين، علم الثورة فى النظرية الماركسية، ترجمة سمير كرم (بيروت - دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٥).

٤٤- أرون واكين، مقدمة إلى وسائل الاتصال، ترجمة وديع فلسطين (القاهرة - مطابع الأهرام التجارية، ١٩٨١).

٤٥- هربرت ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة چورج طرابيشى، ط ٣ (بيروت - منشورات دار الآداب، ١٩٧٣).

٤٦- جامعة الأردن - المجلة الثقافية، العدد الثانى، ربيع، كانون الأول، ١٩٨٣).

٤٧- المرجع نفسه.

٤٨- سالم يفوت، التجديد العلمى ومأزق التبعية (الرباط - مجلة الوحدة، العدد ٩٢، مايو، ١٩٩٢).

٤٩- عواطف عبد الرحمن، بعض الملاحظات المبدئية حول الحقوق الإعلامية فى الوطن العربى (القاهرة - مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية، ١٩٩١).

٥٠- إبراهيم إمام، أصول الإعلام الإسلامى (القاهرة - دار الفكر العربى، ١٩٨٥).

٥١- سالم يفوت : المرجع السابق نفسه .

٥٢- مجلة الفكر العربى المعاصر (بيروت - العدد ٣٥، حزيران ، ١٩٨٥) .

٥٣- السيد ياسين ، اغتيال العقل (القاهرة - جريدة الأهرام ١٠/٢٤/ ١٩٩٤) .

٥٤- عزيزة عبد الرحمن ، ما بعد البنيوية والمعالم الثقافية (بيروت - المستقبل العربى ، العدد ١١٨، ديسمبر، ١٩٨٨) .

٥٥- السيد ياسين ، العرب ومجتمع المعلومات الكونى (القاهرة - الأهرام فى ٤/٤/ ١٩٩٤) .

٥٦- جلال أمين ، العولمة (مصر - دار المعارف ، ١٩٩٨) .

٥٧- رجعت الباحثة إلى هذه المراجع فى الجزء الخاص بالعولمة لدى :

(أ) محمد سيد أحمد ، قضية العراق بين العولمة والقطبية الثنائية (القاهرة - الأهرام فى ١٦/١١/ ١٩٩٨) .

(ب) جلال أمين ، مرجع سابق .

(ت) العولمة ، نخبة من المثقفين ، إشراف أحمد نوار (القاهرة - دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) .

(ث) جلال أمين ، العولمة : سلسلة اقرأ (مصر - دار المعارف ، ١٩٩٨) .

(ج) طه عبد العليم ، العولمة تتقدم إلينا ونتقدم نحوها : الأهرام فى ١٣/١١/

.١٩٩٨

(ح) محمد جمال باروت ، العولمة تناقضات الواحد والمنقسم ، القاهرة – المجلس الأعلى للثقافة ، مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية فى الفترة من ١٢: ١٦ أبريل ، ١٩٩٨.

(خ) على حرب ، صدمة العولمة فى خطاب النخبة حول الهوية .

(د) حازم الببلاوى ، حوار أو صراع الحضارات : القاهرة – المجلس الأعلى للثقافة ، مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية فى الفترة من ١٢: ١٦ أبريل ، ١٩٩٨.

(ذ) مصطفى محمود : البنت السوبر : الأهرام فى ١٧/١٠/١٩٩٨.

(ر) محمد عبد البديع : العولمة مالها وما عليها ، الأهرام فى ١٢/٢/١٩٩٨.

٥٨- جلال أمين ، مرجع سابق .

٥٩- السيد ياسين ، الثقافة العربية والعولمة (الأهرام فى ١٠/٩/١٩٩٨) .

٦٠- سعد لبيب ، مدخل لتحديد مفهوم الاختراق الإعلامى ، ندوة الاختراق الإعلامى (القاهرة – معهد الدراسات العربية فى ٢٣- ٢٤ نوفمبر ، ١٩٩٦) .

٦١- توماس ماير ، عولمة الاقتصاد وتداعياتها السياسية (القاهرة ، مؤسسة فريدريش إيبرت ، يوليو ، ١٩٩٦) .

٦٢- فاروق أبو زيد : دور الإعلام فى التقارب الثقافى والحضارى فى الشراكة الأوربية المتوسطية (القاهرة – المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، يناير ١٩٩٧) .

تعقـيب

ا.د. ماجى الحلوانى حسين*

قدمت الباحثة موضوعا على درجة كبيرة من الأهمية يتناول فكرة الثقافة الوطنية بين الإعلام والعولمة .

ولقد أوضحت الباحثة أن هنالك اتجاهين فى الثقافة :

الأول : يتجه إلى ثقافة الإنسان أينما كان ، وهى ثقافة ملزمة لكل الأزمان والأذواق ، وهى الثقافة الإنسانية .

والآخر : يتجه إلى أن الثقافة محلية وتعتمد على تراث شعب فى إطار لغة معينة ، قد يتصل بها مجموعة من المعتقدات المشتركة ، وتراث منقول عن الأجيال السابقة .

وأكدت الباحثة على أن الاتجاه الأول لا يلغى الاتجاه الثانى ، بل يدعمه ويؤكد عليه .

- تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث أساسية هى :

المبحث الأول : الثقافة وتطورها التاريخى وتعريفها وسماتها .

المبحث الثانى : الإعلام وصلته بالثقافة .

---

* أستاذ بقسم الإذاعة بكلية الإعلام - جامعة القاهرة ، ووكيل الكلية لشئون الدراسات العليا والبحوث .

المبحث الثالث : العولمة وآثارها وكيفية التصدى لها .

فى المبحث الأول : قامت الباحثة بتعريف مفصل للثقافة منذ بداية التاريخ حتى الآن ، وتعرضت للكثير والعديد من الآراء ، إلى أن وصلنا إلى تعريف اليونسكو الذى نجده فى الوقت الحالى الأقرب إلى واقعنا ؛ لأنه بالفعل عمل على التأكيد على إبراز الذاتية الثقافية لكل مجتمع ، بل لكل فئة اجتماعية داخل المجتمع .

- تحدثت الباحثة عن سمات الثقافة المتعددة التى جاء من أبرز سماتها أنها ثقافة متصلة ومتغيرة .

فى المبحث الثانى : الإعلام وصلته بالثقافة :

تعرضت الباحثة لصلة الثقافة بالإعلام ، وتطور هذه الصلة تاريخيًا بدءا باختراع الطباعة ، ومعرفة الصحافة ، ثم اختراع الراديو ثم التليفزيون ، ثم الأقمار الصناعية ... إلخ ، وكيف أن الثقافة استفادت من جميع الابتكارات ، فاستفادت منها وتأثرت بها وأثرت فيها أيضا .

- أشارت الباحثة إلى أن الاتصال أصبح من جانب واحد من الشمال إلى الجنوب ممكنا دون قيود ودون توفر إمكانية الرد أو الحق فى الرد أو إفساح المجال للتبادل الثقافى الفنى والأدبى والتشكيلى الحر الذى كان يحدث فى الماضى .

- وإننى أرى عكس هذا الرأى ؛ حيث إن وجود الفضائيات سواء العربية أو فضائيات دول العالم الثالث قد جعل فى إمكانها الرد - وكما تشاء - وبأى مواد إعلامية مختلفة سواء إخبارية ، أو درامية ، أو تحليلية ؛ بمعنى استخدام مختلف

القوالب التى تتيح لأغلب الدول الرد ووضع الصورة الصحيحة لكل دولة فى إطارها الصحيح - حتى ولو كان غير مشاهد بنسبة كبيرة - وهو ما يتيح إمكانية تولى زمام المبادرة والرد بقوة على أى مزاعم أو افتراءات يتم عرضها على القنوات المختلفة .

- كما أشارت الباحثة من خلال جزئية التأثير السلبى للإعلام إلى أن محتوى الرسالة يتغير بتغير الناقل، ولكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها المختلف فى معالجة الرسالة . ومعنى اختلاف المعالجة أن الرسالة الفعلية التى يتلقاها الجمهور تختلف وتتفاوت .

وأنا أتفق مع الباحثة فى ذلك تمام الاتفاق ، مع إضافة أنه بجانب دور القائم بالاتصال فى تغيير المضمون ، يمكن إضافة السياسة الإعلامية للوائح ذاتها .

- كما أشارت الباحثة إلى أن الحكومات العربية - بدرجات متفاوتة - تعى دور وسائل الاتصال ، فاهتمامها بالثقافة عرض طارئ ، وما تقدمه من برامج يكون فى أحيان كثيرة غير ذى نفع ، وفى أحيان أخرى ضارًا بالمشاهدين ضررا مباشرا . وانتهت - وأنا أتفق معها - إلى عدم اقتصار الإعلام على الاتجاه من أعلى إلى أسفل فحسب ، بل إلى أنه يتجه من أسفل إلى أعلى ؛ أى من الجمهور إلى أصحاب القرار ، ويصبح الإعلام رأسيا وأفقيا فى الوقت نفسه ، وأن يهتم بالوظيفة الثقافية وتنمية الوعى المجتمعى .

فى المبحث الثالث : العولمة :

- تعرضت الباحثة لتعريف العولمة من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والفكرية والتكنولوچية ، وأشارت إلى آراء الكثير من الباحثين فى هذا المجال ، وكان من المهم الإشارة إلى رأيها فى هذا الموضوع وتوضيح وجهة نظرها .

- أشارت الباحثة إلى جزئية مهمة فى بحثها بضرورة أن يقوم الإعلام بإنتاج برامج ثقافة عربية متنوعة تخاطب المجتمع العربى ، تتناول العولمة ومخاطرها على الثقافة .

- أكدت الباحثة على أهمية مواجهة العولمة فيما يأتى :

- ضرورة التمسك بالذاتية الثقافية .

- تطوير آليات التعاون الدولى .

- عدم الانغلاق على الذات .

وأكدت فى نهاية بحثها على عدة نتائج مهمة هى :

- أهمية التمسك بشخصيتنا وتراثنا الإسلامى والعربى ، وهو الطريق السليم لمواجهة العولمة .

- أهمية أن يقوم الإعلام بدوره الثقافى ، وألا تستغرقه الوظيفة الترفيهية وحدها على حساب الوظيفة الثقافية أو وظيفة التنشئة الخاصة بالأجيال ؛ وذلك نظرا لازدياد الدور الترفيهى المتزايد فى كافة القنوات ، سواء الأرضية أو الفضائية العربية ، فالكل يعمل على جذب المشاهد العربى من خلال تزايد وجود البرامج الترفيهية بصفة أساسية .

ونأمل أن نستفيد من الفضائيات العربية فى تكريس الاهتمام بالثقافة العربية وأهمية تأثيرها على الأجيال الناشئة فى كافة أنحاء الوطن العربى ، من خلال لغتنا العربية السليمة ، وأهمية استخدامها الاستخدام الأمثل ، والبعد عن تغريب البرامج ومفهوم هذه البرامج ؛ لأن الهدف فى النهاية هو تأصيل القيم والمثل والمبادئ العربية وتوصيلها بوضوح ، من خلال كافة البرامج .